توزع مجاناً

الوارث ٣٨

ربيع الأول ١٤٣٣هـ
شباط ٢٠١٢م
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

الأمانة العامة
المقدسة

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
الإمام الحسين عليه السلام في طريقه الى كربلاء
–الحلقة الرابعة–

٤ في رحاب علوم القرآن
التدبر في القرآن

٦ على ضفاف نهج البلاغة
حقائق عن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام قبل نزوله الى الأرض

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
ما هي الثقة؟ وبمن نثق؟
سؤال تجيبنا عنه الثورة الحسينية

١٠ اخلاقك هويتك
الإنسان لا يحاسبُ على حديث النفس

١٢ مباحث عقائدية
من المسؤول عن تعيين الإمام؟
– الحلقة الثالثة –

١٤ اعلام الشيعة
الشيخ عبدالحسين الطهراني شيخ العراقين

١٦ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
من معاجز الإمام الحسين عليه السلام وكراماته

١٧ من مناهل مدرسة الدعاء
شرح الصحيفة السجادية – الحلقة العاشرة –

١٨ فقه الأسرة وشؤونها
من حقوق الوالدين

٢٠ عبر من التاريخ
وصايا سيدي ومولاي الإمام الحجة المنتظر روحي وأرواح العالمين له الفداء

٢١ معارف عامة
داء السكري

المشرف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيأة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ – داخلي: ٢٤٢
www.imamhussain.org
www.imamhussain-lib.org
info@imamhussain-lib.org

الرحمة الإلهية

لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهذه الأسماء والصفات لابد أن يطّلع عليها البشر بحسبه لكي يعظّم ربه، بل هي الأساس الذي تدور عليه المعرفة التي أشار إليها الحديث:

«والله ما يعبد الله إلا من عرفه، فأما من لم يعرفه فإنما يعبده هكذا ظلالاً».

ومن طرف معرفة الله تعالى محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين فهم المخلوقات المقدسة التي تعكسها الصفات الإلهية والأسماء الحسنى وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام:

«نحن الأسماء الحسنى».

ولكي نرى نحن هذه الصفات وهذه الأسماء رؤيا العين نراها تجسدت في مخلوق بشري يعكس هذه الصفات الإلهية التي تجسدت في هذا المخلوق هي الرحمة الإلهية فهي صفة عظيمة يحتاجها الخلق أيما حاجة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

فهذا الذي أرسل رحمة للعالمين هو الوجود المقدس والمخلوق العظيم رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو الشخص الأمثل الذي يعكس صفة الرحمة الإلهية بحيث يكون دالاً على رحمة الله سبحانه وتعالى ولكن بحسبه لا كما هي عند الله تعالى، ومن مظاهر رحمته صلى الله عليه وآله وسلم رأفته بالمؤمنين وخلقه الرفيع وصبره وحلمه وسخاؤه وعاطفته اتجاه المؤمنين عامة وأهل بيته عليهم السلام خاصة.

المشرف العام

الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء

الحلقة الرابعة

لقد تناولنا في العدد السابق خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متوجّها إلى العراق وذكرنا المنازل التي مرّ فيها الموكب الحسيني حتى وصل إلى مناطق قريبة من أرض كربلاء فلقيه جيش الحر بن يزيد الرياحي في أربعة آلاف مقاتل.

قال ابن الأعثم: فلما نظر إليهم الحسين عليه السلام وقف في أصحابه، ووقف الحر بن يزيد في أصحابه، فقال الحسين عليه السلام:

(أيها القَوْمُ مَنْ أنْتُمْ؟).

قالوا: نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين عليه السلام:

(وَمَنْ قائِدُكُمْ؟).

قالوا: الحر بن يزيد الرياحي، قال: فناداه الحسين عليه السلام:

(وَيْحَكَ يَا ابْنَ يَزِيدَ! أَلَنا أمْ عَلَيْنا؟).

فقال الحر: بل عليك أبا عبد الله! فقال الحسين عليه السلام:

(لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِالله).

ودنت صلاة الظهر، فقال الحسين عليه السلام للحجاج بن مسروق:

(أذِّنْ رَحِمَكَ اللهُ وَأقِمِ الصَّلاةَ حَتَّى نُصَلِّيَ!).

قال: فأذن الحجاج، فلما فرغ من أذانه صاح الحسين عليه السلام بالحر بن يزيد.

فقال له:

(يَا ابْنَ يَزِيدَ! أتُرِيدُ أنْ تُصَلِّيَ بِأصْحابِكَ وَأصَلِّي بِأصْحابِي؟).

فقال له الحر: بل أنت تصلي بأصحابك ونصلي بصلاتك.

فقال الحسين عليه السلام للحجاج بن مسروق:

(أقِمِ الصَّلاةَ!).

فأقام، وتقدّم الحسين عليه السلام فصلّى بالعسكرين جميعاً، فلما فرغ من صلاته وثب قائماً فاتكا على قائمة سيفه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال.

(أيُّهَا النّاسُ! إنَّها مَعْذِرَةٌ إلى اللهِ وَإلى مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمينَ، إنّي لَمْ أقْدِمْ عَلَى هذا الْبَلَدِ حَتّى أتَتْني كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أنْ أقْدِمْ إلَيْنا إنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنا إمامٌ، فَلَعَلَّ اللهَ أنْ يَجْمَعَنا بِكَ عَلَى الْهُدى، فَإنْ كُنْتُمْ عَلى ذلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ، فَإنْ تُعْطُوني ما يَثِقُ بِهِ قَلْبي مِنْ عُهُودِكُمْ وَمِنْ مَواثِيقِكُمْ دَخَلْتُ مَعَكُمْ إلى مِصْرِكُمْ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ كارِهينَ لِقُدُومي عَلَيْكُمْ انْصَرَفْتُ إلَى الْمَكانِ الَّذي أقْبَلْتُ مِنْهُ إلَيْكُمْ).

قال: فسكت القوم عنه ولم يجيبوا بشيء.

وروى أنه لما حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام من خبائه في إزار ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

(إنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأمْرِ ما قَدْ تَرَوْنَ، وَإنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَاسْتَمَرَّتْ جِدّاً وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ صُبابَةً كَصُبابَةِ الإناءِ، وَخَسيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ، ألا تَرَوْنَ إلَى الْحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإلَى الباطِلِ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ في لِقاءِ رَبِّهِ حَقّاً حَقّاً، فَإنّي لا أرى الْمَوْتَ إلاّ شَهادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلاّ بَرَماً.

إنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا وَالدّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعايِشُهُمْ فَإذا مُحِّصُوا بِالْبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ).

ثم دخل الإمام الحسين عليه السلام خيمته، فاجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه فدخل خيمة قد ضربت له، واجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد الباقون إلى صفهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلّها، فلما كان وقت العصر أمر الحسين بن علي عليهما السلام أن يتهيّؤوا للرحيل ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحسين عليه السلام وقال فصلّى ثم سلم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أمّا بَعْدُ أيُّها النّاسُ فَإنَّكُمْ إنْ تَتَّقُوا

اللهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لأَهْلِهِ تَكُنْ أَرْضى لله عَنْكُمْ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلى بِوِلايَةِ هذَا الأَمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤُلاءِ الْمُدَّعينَ ما لَيْسَ لَهُمْ وَالسّائِرينَ فيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إلاَّ الْكَراهِيَّةَ لَنا وَالْجَهْلَ بِحَقِّنا، وَكانَ رَأْيُكُمُ الآنَ غَيْرَ ما أَتَتْني بِهِ كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ إنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ).

فتكلّم الحر بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال: أبا عبد اللّه! ما نعرف هذه الكتب ولا مَن هؤلاء الرسل.

قال: فالتفت الحسين عليه السلام إلى غلام له يقال له عقبة بن سمعان فقال:

(يا عُقْبَةُ! هاتِ الخُرجينَ الَّذَيْنِ فِيهِمَا الْكُتُبُ).

فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنثرها بين أيديهم ثم تنحّى، فتقدموا ونظروا إلى عنوانها ثم تنحوا.

فقال الحرّ بن يزيد: أبا عبد اللّه! لسنا من القوم الذين كتبوا إليك هذه الكتب، وقد أمرنا إن لقيناك لا نفارقك حتى نأتي بك على الأمير.

فتبسّم الحسين عليه السلام ثمّ قال:

(الْمَوْتُ أدْنى إلَيْكَ مِنْ ذلِكَ).

ثمّ التفت الحسين عليه السلام فقال:

(إحْمِلُوا النِّساءَ لِيَرْكَبُوا حَتّى نَنْظُرَ مَا الَّذي يَصْنَعُ هذا وَأَصْحابُهُ!).

فركب الحسين عليه السلام وساقوا النساء بين أيديهم، فقدمت خيل الكوفة حتّى حالت بينهم وبين المسير، فضرب الحسين عليه السلام بيده إلى سيفه ثم صاح بالحرّ:

(ثَكِلَتْكَ أمُّكَ! مَا الَّذي تُريدُ أنْ تَصْنَعَ؟).

فقال الحر: أما واللّه لو قالها غيرك من العرب لرددتها عليه كائناً من كان، ولكن لا واللّه ما لي إلى ذلك سبيل من ذكر أمّك، غير أنّه لابد أن أنطلق بك على عبيد اللّه بن زياد.

فقال له الحسين عليه السلام:

(إذن وَاللهِ لا أتْبَعُكَ أوْ تَذْهَبَ نَفْسي).

قال الحرّ: إذن واللّه لا أفارقك، أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي.

قال الحسين عليه السلام:

(بَرَزَ أصْحابي وَأصْحابُكَ وَأبْرِزْ إلَيَّ، فَإنْ قَتَلْتَني خُذْ بِرَأْسي إلى زِيادٍ وَإنْ قَتَلْتُكَ أرَحْتُ الْخَلْقَ مِنْكَ).

فقال الحرّ: أبا عبد اللّه! إنّي لم أؤمر بقتلك، وإنّما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد، وأنا واللّه كاره إن سلبني اللّه بشيء من أمرك غير أنّي قد أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنّه لا يوافي القيامة أحد من هذه الأمّة إلاّ وهو يرجو شفاعة جدّك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، وأنا خائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدّنيا والآخرة، ولكن أنا أبا عبد اللّه! لست اقدر الرّجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ عنّي هذا الطريق وامض حيث شئت حتّى أكتب إلى ابن زياد أن هذا خالفني في الطّريق فلم أقدر عليه، وأنا أنشدك اللّه في نفسك.

فقال الحسين عليه السلام:

(يا حُرُّ! أفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُني وَهَلْ يَعْدُوا بِكُمُ الْخَطْبُ أنْ تَقْتُلوني، كَأنَّكَ تُخْبِرُني أنّي مَقْتُولٌ).

فقال الحرّ: أبا عبد اللّه! نعم ما أشك في ذلك إلاّ أن ترجع من حيث جئت.

فقال الحسين عليه السلام:

(ما أدْري ما أقولُ لَكَ وَلكِنّي أقُولُ كَما قالَ أخُو الأوْسِ حَيْثُ يَقُولُ:

سَأَمْضي وَما بِالْمَوْتِ عارٌ عَلَى الْفَتى
إذا ما نَوى خَيْراً، وَجاهَدَ مُسْلِماً
وَواسَى الرِّجالَ الصّالحينَ بِنَفْسِه
وَفارَقَ مَذْمُوماً وَخالَفَ مُجْرِماً
أقَدِّمُ نَفْسي لا أريدُ بَقاءَها
لِتَلْقى خَميساً في الْوغاءِ عَرَمْرَماً
فَإنْ عِشْتُ لَمْ ألَمْ وَإنْ مُتُّ لَمْ أذَمَّ
كَفى بِكَ ذُلاًّ أنْ تَعيشَ مُرَغَّماً

وقال عليه السلام:

(لَيْسَ شَأني شَأنُ مَنْ يَخافُ الْمَوْتَ، ما أهْوَنَ الْمَوْتِ عَلى سَبيلِ نَيْلِ الْعِزِّ وَإحْياءِ الْحَقِّ، لَيْسَ الْمَوْتُ في سَبيلِ الْعِزِّ إلاّ حَياةً وَلَيْسَتِ الْحَياةُ مَعَ الذُّلِّ إلاّ الْمَوْتَ الَّذي لا حَياةَ مَعَهُ، أفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُني، هَيْهاتَ طاشَ سَهْمُكَ وَخابَ ظَنُّكَ لَسْتُ أخافُ الْمَوْتَ، إنَّ نَفْسي لأبْكَر وَهِمَّتي لأعْلى مِنْ أنْ أحْمِلَ الضَّيْمَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ تَقْدِرُونَ عَلى أكْثَرِ مِنْ قَتْلي؟! مَرْحَباً بِالْقَتْلِ في سَبيلِ اللهِ، وَلكِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلى هَدْمِ مَجْدي وَمَحْوِ عِزّي وَشَرَفي فإذن لا أبالي بِالْقَتْلِ).

ثمّ أقبل الحسين عليه السلام إلى أصحابه وقال:

(هَلْ فيكُمْ أحَدٌ يُخْبِرُ الطَّريقَ عَلى غَيْرِ الجادَّةِ)؟

فقال الطرمّاح بن عديّ الطائي: يا ابن بنت رسول اللّه! أنا أخبر الطريق.

فقال الحسين عليه السلام:

(إذن سِرْ بَيْنَ أيْدينا!).

فسار الطرمّاح وأتبعه الحسين هو وأصحابه.

وصار الحرّ يسير بأصحابه ناحية والحسين عليه السلام في ناحية حتّى وافى البيضة.

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العيزار، أن الحسين عليه السلام خطب أصحابه وأصحاب الحرّ بالبيضة فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال:

(أيُّها النّاسُ؛ إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله) ألا وَإنَّ هؤلاءِ قَدْ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأظْهَرُوا الْفَسادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأحَلّوا حَرامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلالَ اللهِ، وَأنَا أحَقُّ مَنْ غَيَّرَ.

قَدْ أتَتْني كُتُبُكُمْ، وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ أنَّكُمْ لا تُسَلِّمُوني وَلا تَخْذُلُوني، فَإنْ تَمَمْتُمْ عَلى بَيْعَتِكُمْ تُصيبُوا رُشْدَكُمْ، فَأنَا الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، وَابْنُ فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَفْسي مَعَ أنْفُسِكُمْ، وَأهْلي مَعَ أهْليكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أسْوَةٌ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتي مِنْ أعْناقِكُمْ فَلَعَمْري ما هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوها بِأبي وَأخي وَابْنِ عَمّي مُسْلِمٍ! وَالْمَغْرُورُ مَنْ إغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أخْطَأتُمْ، وَنَصيبُكُمْ ضَيَّعْتُمْ.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.[1]

وَسَيُغْني اللهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ).

ولمّا فرغ الحسين عليه السلام من خطبته، قام إليه أصحابه وتكلّموا وأجمعوا لنصرته، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً وخرج ولد الحسين عليه السلام وأخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام فنظر إليهم وجمعهم عنده فبكى، ثم قال:

(اللّهُمَّ إنّا عِتْرَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ، قَدْ أُخْرِجْنا وَأُزْعِجْنا وَطُرِدْنا عَنْ حَرَمِ جَدِّنا وَتَعَدَّتْ بَنُو أمَيَّةَ عَلَيْنا، ألّلهُمَّ فَخُذْ لَنا بِحَقِّنا وَانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الظّالِمينَ).[2]

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٥٤ ـ ٣٦١.

التدبر في القرآن

فهم القرآن بشكل جديد

هل استنفد القرآن أغراضه؟

هكذا يتساءل الكثير من الشباب.. ويضيفون:

- لقد قام القرآن بدور كبير قبل أربعة عشر قرناً من الزمن.. فهل يستطيع أن يقوم بدور تغييري في هذا العصر أيضاً؟! أم أنه قد تغير، وانتهى مفعوله؟

الحقيقة: إن القرآن لم يتغير، ولم يستنفد أغراضه.. فالقرآن لا يزال الكتاب الإلهي الذي هبط لإنقاذ البشرية.. وهو يستطيع أن يقوم بدور كبير في البناء الحضاري - في الوقت الراهن.. .

ولكن الذي تغير هو المسلمون.. .

إن طريقة تعامل الأمة مع القرآن، وكيفية تلقيها لمفاهيمه ورؤاه.. تختلف اليوم بشكل جذري عما كانت عليه بالأمس.

لقد كان المسلمون الأولون يفهمون القرآن كتاباً للحياة.. ومنهجاً للتطبيق والتنفيذ.. أما المسلمون اليوم فهم يتعاملون مع القرآن بشكل معاكس تماماً.

وهل يتحمل القرآن ذنوب أتباعه؟!

والآن:

لنلاحظ كيف يفهم المسلمون (اليوم): القرآن الكريم؟ وكيف يتعاملون معه؟!

والجواب: لقد عانت أمتنا - منذ أمد بعيد - مشاكل كثيرة في تعاملها مع القرآن الكريم.. ولا زالت رواسب تلك المشاكل موجودة حتى الآن.. فلننظر ماذا كانت تلك المشاكل؟

١ـ تحجيم التعامل

ويعني ذلك: أن الأمة أخذت تحصر الاستفادة من القرآن في مجالات محدودة.. فالبعض: اتخذ القرآن طريقاً للكسب، وباباً للارتزاق.

والبعض الآخر.. اعتبره (وسيلة للعلاج) فحسب، فإذا ضعف بصره، أو وجعت أسنانه، أو آلمته أمعاؤه.. هرول إلى القرآن.. ليتلو آيات معينة منه.. حتى ترتفع بسببها هذه الأسقام.. أما في غير هذه الحالة: فلا شأن له بالقرآن.

وهنالك مجموعات أخرى.. لا تفتح القرآن إلا عند الاستخارة.. أو حين السفر.. أو عندما يموت أحد الأقرباء.. وليس أكثر من ذلك؟

ومن الواضح: أننا لا ننتقد هنا الاستفادة من القرآن في هذه المجالات.. وإنما ننتقد: تحديد الاستفادة منها ضمن هذه الإطارات.

إن القرآن كتاب حياة.. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.[1]

ولذلك: فإنه يجب الانتفاع من القرآن في كل مجالات الحياة.. وليس في مجال أو مجالين.

٢ـ التلاوة السطحية للقرآن

إن أمتنا تقرأ القرآن.. وتستمع إلى تلاوته.. ولكن: كحروف بلا معنى.. وكلمات بلا مفهوم.. ومن هنا: فإنها لا تعمل بالقرآن، كما هو المطلوب.. لأنها لا تفهم القرآن.. والفهم هو المقدمة الطبيعية للعمل بالشيء.

بينما كان المسلمون الأولون لا يقرأون آية.. حتى يتفكرون في أبعادها المختلفة.. وحتى يعوها بشكل كامل.

إن على من يقرأ القرآن أن يستثير عقله به، ويفقه ما وراءه من أبعاد كامنة.. وإلا.. فسينطبق عليه حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حين قال عن بعض الآيات:

«ويل لمن لاكها بين لحييه (وهما عظمتا الفم) ثم لم يتدبرها».

٣ ـ الاهتمامات الثانوية

ولأن أمتنا أهملت فهم (لباب) القرآن.. اندفعت في طريق البحث عن القشور.

فأخذوا يصرفون جهودهم إلى قضايا ثانوية.. كان الأحرى بهم أن يصرفوها في مجالات أكثر تأثيراً، وفائدة.

فهذا أحدهم يقضي آماداً طويلة من عمره لكي يجيب عن الأسئلة التالية:

كم هي عدد كلمات القرآن؟

وكم هي حروفه؟

وكم تكرر حرف الألف فيه؟

وكم تكرر حرف الباء؟

وكم تكرر حرف التاء؟

وهكذا.. إلى آخر حروف الهجاء.

والله يعلم: كم من الجهود صُرفت في سبيل معرفة هذه القضية خصوصاً: وأنّها لم تتم في العصر الحديث، حيث يسرت العقول الإلكترونية الأمر.. بل تمت في عصور ماضية.

ثم.. نجد أن كثيراً من الدراسات التي كتبت حول القرآن، لا تتناول إلا القضايا الهامشية.

فمثلاً في (١٢٣) كتاباً ألّف حول القرآن الكريم، تجد أن (٣٧) منها تتحدث حول قضايا شكلية مثلاً:

ـ عدد آيات القرآن ـ الجمع والتثنية

ـ طبقات القرّاء، نقط القرآن! الرومي والمعرّب في القرآن.. الخ.

وهذا يعني: أن حوالي ثلث الجهود والطاقات صرفت في قضايا جانبية.

ومثال آخر للاهتمامات الثانوية حين قراءة القرآن: الاهتمام بأشخاص القصص القرآنية.. وبقضايا هامشية في حياتهم تنسي الفرد القضايا الهامة والعبر التي هي الهدف من ذكر تلك القصص.

٤ ـ الفهم التجزيئي للقرآن

ويعني ذلك: فهم القرآن بشكل تفكيكي، ينفصل بعضه عن البعض الآخر.. وبعبارة أخرى: فهم كل آية قرآنية وكأنها عالم مستقل قائم بذاته من دون ربطها بالآيات الأخرى.

وقد يترتب على ذلك نتائج خطيرة.. سوف نشرحها في الفصل الثاني ـ بإذن الله ـ.

٥ ـ الفهم المصلحي للقرآن

ويعني ذلك:

أ: فهم آيات القرآن بشكل يكرس مصالح الفرد في الحياة.. ويبرر أهواءه وشهواته.

ب: الاقتصار على جانب معين من (قيم القرآن) وإهمال سائر الجوانب.. التي تتطلب من الإنسان: العطاء والتضحية.

مثلاً: يفهم القرآن في جانبه الذي يتحدث عن العباد فحسب ـ لأن العبادة هي عادة درج عليها، ولا تكلفه كثيراً ـ ولكنه لا يفهم القرآن في جوانبه السلوكية، والعملية، والجهادية.. لأن ذلك يكلفه مصالحه وأنانياته.

٦ ـ الفهم الميت للقرآن

ويتم ذلك بفصل القرآن عن الواقع المعاش.. وربطه بقضايا ميتافيزيقية، أو قصص تاريخية لا تؤثر في الواقع القائم شيئاً.

٧ ـ الفهم بديلاً عن العمل

إن القرآن الكريم (صراط) و(طريق).. وذلك يعني: أن على الفرد أن يعبر من خلال القرآن إلى العمل بالقرآن.

من هنا كانت الطلائع المسلمة في عصور الرسالة الأولى تفهم القرآنطريقاً للعمل، ومنهاجاً للمسير.

ولكن أجيالنا الحاضرة تفهم القرآن هدفاً بذاته وليس وسيلة للعمل به.

وهكذا لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه، ومن القرآن إلا رسمه ـ كما تنبأ بذلك الإمام علي عليه السلام من ذي قبل ـ.

هذه هي أهم المشاكل التي عانت منها الأمة في تعاملها مع القرآن.

وهذه المشاكل هي التي سببت سقوط أمتنا في الحضيض.

وعلينا ـ الآن ـ أن ننفض عن أنفسنا غبار الماضي.. ونبدأ في تعامل جديد مع القرآن.. كما أراده الله سبحانه منا.. حتى يغير الله ما بنا.. ويأخذ بأيدينا إلى القمة.

ونأمل أن يكون هذا الكتاب، الذي يتضمن تصورات أولية في كيفية فهم القرآن الكريم، خطوة إلى فهم القرآن بشكل آخر.. والتعامل معه بشكل جديد[٢]

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله: ج١، ص١٥ ـ ٢٠.

حقائق عن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض

١ ـ ما كانت جنّة آدم؟

ذهب جماعة إلى أنّ الجنّة التي سكنها آدم(عليه السلام) كانت جنّة الخلد التي وعد الله عباده الصالحين، بينما ذهبت جماعة اُخرى إلى أنّها كانت جنّة دنيوية غنية بحدائقها وبساتينها، وقد استدلت هذه الجماعة ببعض الأدلة فيما اعتقدت:

بادئ ذي بدء أنّ الجنّة الموعودة بعد القيامة هي جنّة خالدة لا يعتريها الخروج. وقد يقال فإذا كانت كذلك فأنى لإبليس الذي يفيض كفراً وعناداً وطغياناً أن يدخل هذه الروضة المقدسة؟

فإذا قيل بأن إبليس لم يوسوس لآدم في الجنّة قط، بل وسوس له وقد وقف خارجاً على بابها، قلنا بـأنّ ذلك لا ينسجم وما صرّحت به الآية ٣٦ من سورة البقرة التي قالت: (وَقُلنا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) التي تشمل آدم وحواء وإبليس معاً.

أضف إلى ذلك فقد صرّحت الروايات الكثيرة الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنّ تلك الجنّة كانت من جنان الدنيا.

فقد جاء عن حسين بن بشار أنّه قال: سألت الإمام الصادق(عليه السلام) عن جنّة آدم، فقال(عليه السلام): «جنّة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً»(بحار الأنوار ١١ / ١٤٣، ح ١٢).

كما أورد المرحوم الكليني في الكافي عن حسين بن ميسر مثل هذا الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)(الكافي ٣ / ٢٤٧، باب جنّة الدنيا، ح ٢).

أما الإشكال الوحيد الذي يرد على هذا الكلام فإنما يكمن في العبارة الواردة في احدى خطب نهج البلاغة والتي تقول «ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحانَهُ آدَمَ داراً أَرْغَدَ فيها عَيْشَهُ وَآمَنَ فيها مَحَلَّتَهُ وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَداوَتَهُ فاغْتَرَّهُ عُدوُّهُ نَفاسَةً عَلَيْهِ بِدارِ الْمُقامِ»، لكن من الممكن أن يكون معنى هذه العبارة هو أنّه لو لم يرتكب هذه المخالفة لبقى مدّة طويلة في هذه الجنّة ثم يهبط إلى الأرض، إلاّ أنّه تركه للأولى أسرع في إخراجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض، أو أن يقال أنّه أراد سبحانه أن يحرم آدم من جنّة الخلد، فلو كان آدم مطيعاً لأوامر الله لالتمس طريقه إلى تلك الجنّة.

٢ ـ هل اقترف آدم معصية؟

يرى أولئك الذين يجوزون ارتكاب الذنب على الأنبياء ـ ولاسيما في مثل هذه الأمور ـ أنّ آدم (عليه السلام) قد ارتكب المعصية، بينما لا يرى أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين يؤمنون بعصمة الأنبياء عن كل خطأ وزلل أنّ آدم (عليه السلام) قد قارف أية معصية وأن نهي الله لآدم (عليه السلام) عن تلك الشجرة المحظورة لم يكن نهياً تحريمياً، بل كان فعلاً مكروهاً.

ولما كان مقام الأنبياء ولاسيما آدم (عليه السلام) الذي سجدت له الملائكة لمن العلو والرفعة بحيث لا يتوقع ارتكابهم للمكروه، فـإن فعلوا ذلك آخذهم الحق سبحانه فحسنات الأبرار سيئات المقربين.

وبعبارة اُخرى الذنوب على قسمين: ذنـوب مطلقة وذنـوب نسبية. الذنوب المطلقة هـي الـذنـوب لـدى الجميع من قبيل الـكذب والـسرقة وشـرب الخمر. أمّا الذنوب النسبية فهي ليست بذنوب لدى عامة الناس، بل قد تكون مستحبة لدى البعض من الناس، بينما نفس هذه الأعمال المستحبة والمباحة قد يطلق عليها اسم المعصية فيما إذا صدرت من المقربين الذين يستبعد أن يقوموا بمثل هذه الأفعال، إلاّ أنّها ليست من قبيل الذنوب المطلقة بل الذنوب النسبية والمراد بها هنا «ترك الاولى». كما ذهبت جماعة إلى النهي عن تلك الشجرة المحظورة على آدم (عليه السلام) كان نهياً إرشادياً لا نهياً مولوياً، على غرار نصائح الطبيب وإرشاداته حين ينصح مريضه بعدم تناول الطعام الفلاني خشية من استفحال المرض وازدياد مدته. فمن البديهي أنّ مخالفة نصائح الطبيب لا تعتبر اهانة له ولا تعدّ معصية لأوامره، بل ستجر تلك المخالفة على صاحبها مزيداً من الألم والمعاناة.

وهـذا هـو المعنى الـذي أشـارت إليه بعض الآيـات القرآنية بشأن قصة آدم (عليه السلام): (فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى)(سورة طه / ١١٧).

وقد ورد في بعض الـروايات أنّ آدم (عليه السلام) لم يتناول من تلك الشجرة المحظورة، بل أكل من شجرة مشابهة لها، ولذلك قال لهما الشيطان في ضمن وساوسه إنّ الله لم ينهكما عن هذه الشجرة (وَقالَ ما نَهيكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ) (تفسير نور الثقلين ٢ / ١١ ح ٣٤; سورة الاعراف / ٢٠).

أضف إلى ذلك فهناك نقطة مهمّة لابدّ من الالتفات لها والتي تكمن في قسم الشيطان لاثبات حسن نيته في دعوتهما للأكل من تلك الشجرة (وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ)(سورة الأعراف / ٢١) ولم يكن آدم وحواء آنذاك سمعا من يقسم كاذباً؛ الأمر الذي جعلهما يصغيان إلى وساوس الشيطان.

بالطبع لو تأملا قليلاً لاكتشفا كذب الشيطان؛ لأنّ الله سبحانه قد حذرهما سابقاً مكائده وأنّه عدو لهما، ومن الواضح أنّه لايمكن الوثوق بكلام العدو وإن عززه بالإيمان المغلظة.

٣ ـ ما حقيقة الشجرة المحظورة؟

اختلفت أقوال المفسرين بشأن الشجرة المحظورة على آدم (عليه السلام) هل كانت شجرة خارجية اعتيادية أم مسألة معنوية أخلاقية، وإن كانت مادية أو معنوية فما هي هذه الشجرة؟

نتناول هذه القضية بالبحث المقتضب رغم أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يتعرض في خطبته لتلك الشجرة حيث وردت الإشـارات فيها إلى قصة إبليس ووساوسه لآدم (عليه السلام).

فقد أشـار الـقـرآن الكريم في ستة مواضع إلى تلك الشجرة المحظورة دون

الخوض في ماهية تلك الشجرة، غير أنّ الأخبار والروايات الإسلامية وكلمات المفسرين قد تضمنت أبحاثاً مسهبة بهذا الخصوص. حيث فسرها البعض بشجرة الحنطة (وهنا لابّد من الالتفات إلى أنّ الشجرة تطلق على النبات أيضاً، وهذا ما صرّحت به الآية ١٤٦ من سورة يونس: (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ). في حين فسرها البعض الآخر بشجرة العنب والنخيل والكافور أيضاً.(انظر تفسير نور الثقلين ١ / ٦٠; الدر المنثور ١ / ٥٢ و٥٣ وذيل الآية ٣٥ من سورة البقرة).

وأخيراً فسرها البعض معنوياً على أنّ تلك الشجرة كانت علم آل محمد (صلى الله عليه وآله) وقيل بل العلم بصورة مطلقة كما قيل كانت الحسد. وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) حين سئل عن علة اختلاف الروايات بهذا الشأن أنّه قال: «كلّه صحيح، لأنّ اشجار الجنان ليست من قبيل أشجار الدنيا. فشجرة الجنّة تحمل أنواع الثمار. ولما كرم الله آدم (عليه السلام) واسجد له الملائكة واسكنه الجنّة حدث نفسه: هل خلق الله خلقاً أكرم منّي؟ فأراه الله مقام محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) فتمنى أن يبلغ مقامهم» (نور الثقلين ١ / ٦٠).

جدير بالذكر أنّ التوراة صرّحت بأنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة (معرفة الحسن من القبيح) وشجرة الحياة الخالدة وقد نهى الله آدم وحواء من التناول من تلك الشجرة فيحصلا على المعرفة ويصبحا خالدين كالله. (التوراة، سفر التكوين، الفصل الثاني، رقم ١٧).

وتكفي هذه العبارة لوحدها في إثبات تحريف التوراة الفعلية عن التوراة الحقيقية، حيث تثبت أنّها من وضع الأفراد والجهال الذين يرون العلم والمعرفة مثلبة على آدم وأنّه استحق الطرد من الجنّة بسبب هذا الذنب. وكأن الجنّة لا تسع ذوي العلم والمعرفة، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ بعض الروايات التي ذهبت إلى أنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة إنّما هي روايات موضوعة أخذت عن التوراة المحرفة.

٤ ـ الكلمات التي تاب الله بها على آدم (عليه السلام).

لقد تحدث الإمام (عليه السلام) في الخطبة عن تلقي آدم (عليه السلام) لكلمة الرحمة من الله سبحانه دون الدخول في تفاصيل هذه الكلمة. القرآن من جانبه أيضاً أشار من بعيد إلى هذه المسألة دون الحديث عن ماهيتها وكنهها.

إلاّ أنّ الذي يفهم من هذه التعابير أن تلك الكلمات كانت تتضمن مسائل مهمة، فقد صرّح البعض بأنّ المراد بالكلمات هو الاعتراف بالخطأ، وهذا ما أشارت إليه الآية ٢٣ من سورة الأعراف: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ). كما استدل البعض الآخر على هذا الاعتراف بالتقصير وطلب المغفرة بالعبارة: «لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي أنّك خير الغافرين»(بحار الأنوار ١١ / ١٨١).

وقد ورد مثل هذا المعنى في بعض الروايات عن الإمام الباقر أو الصادق (عليهما السلام).(تفسير نور الثقلين ١ / ٦٧).

بينما صرّحت أغلب الروايات بأنّ تلك الكلمات كانت أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). فقد جاء في كتاب الخصال أن ابن عباس قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فقال(صلى الله عليه وآله): «سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليه فتاب الله عليه إنّه هو التواب الرحيم» (كتاب الخصال نقلاً عن تفسير الثقلين ١/ ٦٨).

جدير ذكره أنّ هذا المعنى مع فارق طفيف قد ورد في «الدر المنثور» التفسير الروائي المشهور لدى العامة. (تفسير الدر المنثور ١ / ٦٠).

كما جاء في رواية أُخرى عن تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنّ آدم(عليه السلام) حين ارتكب الخطيئة وطلب المغفرة من الله، سأله أن يقبل توبته بعد أن اعترف بذنبه. فقال له الحق سبحانه: ألم أعلمك أن تدعوني بمحمد وآل محمد لكل شدة نزلت بك؟ فقال آدم(عليه السلام): اللّهم بلى. فقال الله: ادعني بهؤلاء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)لأقبل عذرك وأعطيك ما تريد.(شرح نهج البلاغة للمرحوم الخوئي ٢ / ١١٨).

وفي حديث آخر عن عائشة عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنّ الكلمات التي تلقاها آدم(عليه السلام) هي: «اللّهم إنّك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي اللّهم انّي أسألك ايماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنّه لا يصيبني إلاّ ما كتبت لي وأرضني بما قسمت لي» (تفسير الدر المنثور ١ / ٥٩).

ونرى هنا أن ليس هناك من تضارب في هذه الروايات، فلعل آدم (عليه السلام) قد تضرع بهذا الدعاء إلى جانب توسله بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام).

وأخيراً فقد فسرها البعض بالحالة المعنوية لآدم (عليه السلام) ومدى انشداده لله سبحانه؛ الأمر الذي رافق توسله بالنبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام).

وبالطبع فليس هنالك من منافاة بين عدم علم آدم (عليه السلام) بهذه الكلمات قبل التعليم الإلهي مع علمه بالأسماء، لأنّ الاحتمال القوي هو أنّ العلم بالأسماء يعني العلم والالمام بأسرار الخليقة وهذا غير المقولة الأخرى التي تتناول سبل تزكية النفس وتهذيبها وتدارك التقصير والسير إلى الله تبارك وتعالى.

ما هي الثقة؟ وبمن نثق؟

سؤال تجيبنا عنه الثورة الحسينية

التعريف اللغوي لمفردة الثقة

تعرّف الثقة عند أهل اللغة بأنها مأخوذة من (الوثق) وهو مصدر قولك وثق به يثق، بالكسر فيهما. وثاقة وثقة: ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به. والوثاقة، مصدر الشيء الوثيق المحكم، والوثاق: اسم الإيثاق. والحبل أو الشيء الذي يوثق به وثاق. (راجع لسان العرب لابن منظور، مادة (وثق): ج١٠، ص٣٧١).

ويقال: استوثقت من فلان وتوثقت من الأمر إذا أخذت فيه الوثاقة؛ وأخذ الأمر بالأوثق، أي: الأشد الأحكم. (المصدر السابق).

ومن هنا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام بدأ في أول خطوة في يوم الطف هو الأخذ بالأمر الأوثق والأشد والأحكم وهو الله جل جلاله.

الثقة حالة وسطية بين الغرور وبين الخوف والجبن.

والثقة تدور مدار الإفراط والتفريط في النفس فتندفع للوقوع في تلك الانفعالات والاضطرابات السلوكية، فالإفراط بها يؤدي إلى الغرور والاستدراج، كمن يثق بالدنيا، أو بالقوة البدنية، أو المال، وكلها قابلة للتغير؛ والتفريط بها يؤدي إلى التراجع والتعثر، وضياع الهدف، وقتل الطموح، وفي جميع ذلك تتوقف النتائج على الأمر الذي نثق به.

من أين تبدأ الثقة؟ وبمن نثق؟

والسؤال المطروح هو: من أين تبدأ الثقة؟ وبمن نثق؟ وهل الثقة بالنفس كافية للخروج من المآزق أو نيل المقصود؟.

بالطبع لا يمكن أن يتخذ الإنسان من النفس مصدرا للتحرك، فكم من امرئ وقع في شباك الثقة بنفسه فأدى به الحال إلى الغرور، والتهور، والتعجرف، والاستهزاء بالآخر، وعدم التثبت من المعطيات، لتكون النتائج في كل ذلك وبالاً على صاحبها.

وكم من واثق بماله فيدفعه هذا الشعور إلى التعالي، والظلم، والخسران، بل وكم من واثق بسلطانه فينتهي به الحال إلى الزنزانة أو القتل، وغيرها من مجالات الحياة التي تختلف فيها موارد التثبت والوثاقة.

إذن: ما هو المقياس في حالة الثقة؟

المقياس والضابطة: هو التفريق بين الأشياء الثابتة والمتغيرة، فالمال متغير، والسلطان متغير والصحة والعافية متغيرة، والصداقة متغيرة، والعلاقة الاجتماعية متغيرة، سواء أكانت فردية أم أسرية، لأن الثابت فيها هو ما بني على الإيمان بالله عز وجل.

ولو كانت هذه الأمور قابلة للثبات لما وضع الله تعالى أحكاماً وتشريعات ابتداءً من العلاقة الزوجية ثم الوالدية، ثم القرابية، ثم العشائرية، ثم العلاقة داخل المجتمع كالجوار، والصداقة، وجلسات التحاور، والتذاكر، وعقود المعاملات القائمة بين الناس، كلها وضع الله لها تشريعاتها لأنها من المتغيرات.

ولكونها كذلك صار الحكم الشرعي هو الثابت والضابط والمقياس الذي يعود إليه الناس لتعديل مسارهم الحياتي، وأسلوبهم المعاملاتي سواء الفردي أو الجماعي.

ومن هنا: فقد خلصت الدراسات العلمية الحديثة في مجال الصحة النفسية إلى أن الثقة تبدأ مع الإنسان منذ الرضاعة وإن الله تعالى قد جعل لها هارموناً في عقل الأم ينزل إلى الرضيع من خلال الرضاعة.

بل قالوا: (إن الرضاعة في حد ذاتها قائمة على الثقة بين الأم ووليدها، وإن الرضيع عندما يبدأ في الرضاعة تنطلق سلسلة متصلة من العمليات في دماغ الأم تؤدي إلى نشوء هرمون الثقة.

وقال فريق العمل في جامعة وورديك الذي أنجز البحث إنّ الهرمون المسمّى (أولسيتوسن) كان معروفا أنّه عند إطلاقه في الدم يسبب في انسكاب الحليب. لكن ما لم يكن معروفا أنّه عند إطلاق الهرمون (أوكسيتوسين) في الدماغ فإنه يساعد على تعزيز الرابطة بين الأم والرضيع من خلال الثقة التي تنشأ بين الطرفين.

وينشأ الهرمون في جزء الدماغ المسؤول عن التحكم في حرارة الجسم والعطش والجوع والغضب والتعب.

وخلص فريق البحث إلى أن الهرمون المذكور يفرز مشاعر ثقة الرضيع في أمه واتكاله عليها، فضلاً عن تقليص خوفه من العالم الجديد الذي وفد إليه). (صفحة علوم وتكنولوجيا bbcarabic.com).

ولذلك؛ أصبح العالم اليوم يعيش أزمة ثقة بسبب استغناء الأمهات عن الرضاعة الطبيعية فينشأ الإنسان وهو محروم من عامل نفسي مهم وهو الثقة ولا يعرف كيف ينميه في نفسه، بل حتى لا يعرف مفهوم الثقة، وكيف له أن يثق بنفسه أو بغيره من الأشياء التي يتعامل معها.

ناهيك عن فقدان ثقافة الثبات والمتغير في الحياة، أي فقدان معرفة تطبيق الحكم الشرعي، أو الجهل به أصلا مما يؤدي إلى تلك الانفعالات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تنتهي في الغالب إلى الفشل والدمار.

بمن وثق الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

وفي خضم هذه المفاهيم الحياتية تبقى مدرسة عاشوراء مصدرا للمعرفة والتعلم ونشر ثقافة الحياة، إذ لا يخفى على أهل المعرفة ما للحرب من أجواء نفسية معقدة، وما لها من آثار خطيرة لا يسع البحث إيرادها، مع ما تحمل واقعة كربلاء من خصوصية خاصة من حيث الأجواء العسكرية التي أحاطت بسيد شباب أهل الجنة عليه السلام، وهو موقن أن هؤلاء الذين تجمعوا من حوله عازمون على قتله، وقتل أبنائه وأطفاله وأخوته وأصحابه وتسليب بنات الرسالة المحمدية.

إنها أجواء انفردت بها واقعة الطف على مر العصور، فماذا أعد لها سيد الشهداء عليه السلام من عدة الثقة؟! وبمن استوثق؟

إنّ جواب السؤال بات معروفا لكثير من أهل المعرفة، إلا أن الفارق في بيانه هو أن الإمام الحسين عليه السلام ابتدأ

بعامل الثقة في أول عدته لهذه الحرب الطاحنة، فكيف هي الثقة عنده؟.

بمعنى آخر للسؤال هل وثق بالمال، أم بالأهل، أم بالأصحاب، أم بصحته، أم بمهارته في القتال وإتقانه فنون الفروسية فهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، فضلاً عن انه إمام معصوم مما يستلزم إحرازه لجميع الكمالات التي يحتج بها على المكلف يوم القيامة. ومن البديهي أن أهل بيته هم خير أهل بيت وأوصل، وأن أصحابه أوفى الأصحاب وأبرهم إلا أن السؤال ماذا أعد له ولهم في هذه الحرب وبماذا استوثق؟

وبمعنى آخر: إنّ الأهل والأصحاب هم في دائرة المتغير فقد فدوه بأنفسهم ورحلوا إلى ربهم فبماذا استوثق أبو عبد الله عليه السلام؟! سؤال هو يجيب عليه - بأبي وأمي -، قائلا: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب».

هنا يظهر الإمام صلوات الله وسلامه عليه الأمر الثابت الذي لا يتغير وهو الله عز وجل، فهو ثقته في كل كرب وليس في هذا الوقت، بل في كل كرب حدث قبل هذا الكرب أو سيحدث بعده - كما سيمر علينا -. فالثابت في كل ذلك هو الثقة بالله عز وجل.

لماذا يجب الوثوق بالله سبحان دون غيره؟

والسؤال المطروح هو: لماذا كانت ثقة الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى دون غيره من الولد والأهل والأصحاب مع مالهم من الخصوصية الخاصة والتفرد في منحهم الثقة لسيد الشهداء عليه السلام؟ ثم بماذا تختلف ثقة الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى عن ثقتنا به جلت قدرته؟.

والجواب: هو التوكل. فالتوكل عند الإمام الحسين عليه السلام هو الثقة بالله وحده لا شيء معه، والتوكل عندنا هو التعلق بالأسباب بالولد والأهل والأقارب والأصحاب والعشيرة والمال والسلاح وفنون القتال، و... و... و... وما أكثرها! فهذه الأسباب هي سواء عند سيد الشهداء عليه السلام في وجودها وفقدها وجلائها وخفائها، ولا يبقى منها سوى الغريزة الإنسانية المتمثلة بالأبوة والأخوة والصحبة، ولذا بكى عليهم أشد البكاء لأنه مثال الإنسانية وعنوان وجودها.

فالتواصل مع هذه الروابط طريق لدوام الإنسانية وليس لغرض الإتكال عليها والاستغناء بها، فهاهم قد رحلوا عنه - بأبي وأمي - وبقي وحيدا على من يعتمد بعدهم، وبمن كان يعتمد قبلهم؟ إنّه الله تعالى. والعلة في ذلك هو حقيقة التوكل التي تحملها الذات الحسينية المشرّفة.

ولذلك: نجده عليه الصلاة والسلام يظهر لنا في مدرسة عاشوراء عامل الثقة بالله ودوره في الهزيمة والنصر في جميع مجالات الحياة، فيعيد بيانه في دعائه مرتين؛ فيقول: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بين ثقة وعدة». (الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٥٧٩).

وفي ذلك يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: (إن معنى التوكل على الله أنه ليس اعتمادا عليه سبحانه بإلغاء الأسباب الظاهرية بل سلب الاعتماد القطعي على الأسباب الظاهرية لأن الذي يبدو للإنسان منها بعض يسير منها دون جميعها، والسبب التام الذي لا يختلف عن مسببه هو الجميع الذي يحمل إرادته سبحانه. فالتوكل هو توجيه الثقة والاعتماد على الله سبحانه الذي بمشيته تدور رحى الأسباب اللائحة عليه من غير أن يلغي شيئا منها فيركب مطية الجهل). (تفسير الميزان: ج٩، ص١٧٧).

ما هو طريق تحصيل الثقة؟

حينما ظهر أن الثقة تنمو في النفس وتؤدي دورها من خلال حسن التوكل على الله عز وجل لزم من ذلك معرفة طريق تحصيل التوكل، والذي يمكن معرفته من خلال النقاط الآتية التي خلص إليها العلامة النراقي قدس سره:

١- بعد تقوية التوحيد والاعتقاد بأن الأمور بأسرها مستندة إليه سبحانه، وليس لغيره مدخلية فيها، أن يتذكر الآيات والأخبار المذكورة الدالة على فضيلته ومدحه، وكونه باعث النجاة والكفاية.

٢- أن يتذكر أن الله سبحانه خلقه بعد أن لم يكن موجودا وأوجده من كتم العدم، وهيأ له ما يحتاج إليه، وهو أرأف بعباده من الوالدة بولدها، وقد ضمن بكفايته من توكل عليه، فيستحيل أن يضيعه بعد ذلك ولا يكفيه مؤونته ولا يوصل إليه ما يحتاج، ولا يدفع عنه ما يؤذيه، لتقدسه من العجز والنقص والخلف والسهو.

٣- كما ينبغي له أن يتذكر الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الأرزاق إلى صاحبها، وفي دفع البلايا والأسواء عن بعض عبيده، والحكايات التي فيها عجائب قهر الله في إهلاك أموال الأغنياء وإذلال الأقوياء وكم من عبد ليس له مال وبضاعة ويرزقه الله بسهولة، وكم من ذي مال وثروة هلكت بضاعته أو سرقت وصار محتاجا، وكم من قوي صاحب كثرة وعدة وسطوة صار عاجزا ذليلا، بلا سبب ظاهر، وكم من ذليل عاجز صار قويا واستولى على الكل، ومن تأمل في ذلك، يعلم أن الأمور بيد الله فيلزم الاعتماد عليه والثقة به.

٤- والمناط: أن يعلم أن الأمور لو كانت بقدرة الله سبحانه من غير مدخلية للأسباب والوسائط فيها، فعدم التوكل عليه سبحانه - والثقة بغيره غاية الجهل، وإن كانت لغيره سبحانه من الوسائط والأسباب مدخلية فالتوكل من جملة أسباب الكفاية وإنجاح الأمور، إذ السمع والتجربة شاهدان بأن من توكل على الله وانقطع إليه كفاه الله كل مؤونة.

فكما أن شرب الماء سبب لإزالة العطش، وأكل الطعام سبب لدفع الجوع، فكذا التوكل سبب رتبه مسبب الأسباب لإنجاح المقاصد وكفاية الأمور، وعلامة حصول التوكل، ألا يضطرب قلبه، ولا يبطل سكونه بفقد أسباب نفعه وحدوث أسباب ضره.

فلو سرقت بضاعته، أو خسرت تجارته، أو تعوق أمر من أموره، كان راضيا به، ولم تبطل طمأنينته، ولم تضطرب نفسه، بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا، فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب بفقده، ومن اضطرب لفقد شيء سكن إليه واطمأن به. (جامع السعادات للنراقي: ج٣، ص١٨٦، ١٨٧).

إذن: ميزان الثقة في النفس وفي الآخر هو الله سبحانه وتعالى فمتى ما عظم إيماننا بالله وأيقنا بأنه مسبب الأسباب ومهيئ السبل وبيده مقادير الحياة والموت، والغنى والفقر، والصحة والمرض، عرفنا كيف نتعامل مع أنفسنا ومع من حولنا، وعرفنا كيف نبني الحياة ونحدد المستقبل، لأن المستقبل خاضع للمقدمات، ومداره مدار التوكل على الله تعالى.

وأيقنا أن الفشل والنجاح، والهزيمة والنصر، تنبع من معرفتنا بأنفسنا، ومواطن ضعفها وقوتها، ومحاسنها ومساوئها، وطرق تقويمها، ففاقد الشيء لا يعطيه لغيره وفاقد الإيمان بالله لا يعطي الثقة لنفسه ولا لأحد من حوله، ومصيره دائما الهزيمة والفشل.

ولذا نراه مضطرباً ومتردداً يحيطه الخوف ويؤرّقه الحذر، وما ذاك إلاّ لاختلال التوكل على الله تعالى.

المصدر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء للسيد نبيل الحسني: ج١، ص١١٣ - ١٢٢.

الإنسان...
لا يحاسبُ على حديث النفس

إن الوساوس بأقسامها مشتركة في أحداث ظلمة وكدرة في النفس، إلاّ أن مجرد الخواطر ـ أي (حديث النفس) وما يتولد عنه بلا اختيار، كالميل وهيجان الرغبة ـ لا مؤاخذة عليهما، ولا يكتب بهما معصية لعدم دخولهما تحت الاختيار، فالمؤاخذة عليهما ظلم، والنهي عنهما تكليف بما لا يُطاق، والاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل هذا فيؤاخذ به لكونه اختيارياً، وكذا الهم بالفعل والعزم عليه، إلاّ أنه إن يفعل مع الهم خوفاً من الله وندم عنه كتبت له حسنة، وإن لم يفعل لمانع منعه لا لخوف الله سبحانه كتبت عليه سيئة.

والدليل على هذا التفصيل: أما على عدم المؤاخذة على مجرد الخاطر، فما روي في الكافي: (أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله: هلكت. فقال له:

«هل أتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟».

فقلت الله تعالى، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال له: أي والذي بعثك بالحق لكان كذا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاك والله محض الإيمان».

ومثله ما روي: أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله نافقت! فقال:

«والله ما نافقت! ولو نافقت ما أتيتني تعلمني، ما الذي رابك؟». أظن أن العدو الحاضر أتاك، فقال: من خلقك؟ فقلت: الله تعالى خلقني، فقال لك: من خلق الله؟ فقال: أي والذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال: «إن الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقوَ عليكم فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده».

وقريب منه ما روي: أن رجلا كتب إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لما يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: «إن الله إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقا».

قد شكى قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يعرض لهم لأن تهوي بهم الريح أو يقطّعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتجدون ذلك؟»، قالوا: نعم! قال: «والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وسئل الصادق عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت، فقال: «لا شيء فيها، تقول لا إله إلا الله».

وعن جميل بن دراج قال: قلت للصادق عليه السلام: إنه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: «قل لا إله إلا الله»، قال جميل فكلما وقع في قلبي قلت لا إله إلا الله، فيذهب عني.

ومما يدل على عدم المؤاخذة عليه وعلى الميل وهيجان الرغبة إذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار ما روي أنه لما نزل قوله تعالى:

(وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ).(١)

جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه، ثم يحاسب بذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله تعالى:

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).(٢)

وما روي عن أمير المؤمنين عليه

الوارث

السلام في قوله سبحانه:

(...وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ).

«إن هذه الآية عرضت على الأنبياء والأمم السابقة فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرضها على أمته فقبلوها، فلما رأى الله عزّ وجل منهم القبول على أنهم لا يطيقونها، قال: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم السابقة فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أمتك، فحق عليّ أن أرفعها عن أمتك، وقال عزّ من قائل: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)».

وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «وضع عن أمتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمونه، وما لا يطيقونه، وما اضطروا عليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد».

وما روي أنه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى أكرم من أن يستغلق على عبده».

والمراد من الغضب فيه، الغضب الذي سلب الاختيار.

وبالجملة القطع حاصل بعدم المؤاخذة والمعصية على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر والميل وهيجان الرغبة، إذ النهي عنها مع عدم كونها اختيارية تكليف بما لا يطاق، وإن لم ينفك عن إحداث خباثة في النفس.

وأما على أنه يكتب سيئة على الاعتقاد والهم بالفعل والتصميم عليه مع تركه لمانع لا لخوف من الله، فهو إن كلاً من الاعتقاد والهم بالمعصية فعل من الأفعال الاختيارية للقلب، وقد ثبت في الشريعة ترتب الثواب والعقاب على فلع القلب إذا كان اختياريا، قال الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا).(٣)

وقال سبحانه:

(لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ).(٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما يحشر الناس على نياتهم».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار»، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه أراد قتل صاحبه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل امرئ ما نوى».

والآثار الواردة في ترتب العقاب على الهم بالمعصية كثيرة، وإطلاقها محمول على غير صورة الترك خوفاً من الله، لما يأتي من أنه في هذه الصورة تكتب بها حسنة، وكيف لا يؤاخذ على أعمال القلوب مع أن المؤاخذة على الملكات الردية من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وغيرها قطعي الثبوت من الشرع، مع كونها أفعالاً قلبية، وقد ثبت في الشريعة أن من وطأ امرأة ظاناً أنها أجنبية كان عاصياً وإن كانت زوجته.

وأما على أنه يكتب حسنة على الترك بعد الهم خوفاً من الله، فما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر، فقال: راقبوه فإن عملها فاكتبوها عليه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها لأجلي».

وما روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام: «إن الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة».

وقوله: «لم يكتب عليه»، محمود على صورة عدم العمل خوفاً من الله، لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف الله كتبت عليه سيئة.

وما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زماناً ثم يلم به وذلك قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ).(٥)

وقال: «واللمم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه»، وقد وردت بهذا المضمون أخبار أخر.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.
(٥) سورة النجم، الآية: ٣٢.

من المسؤول عن تعيين الإمام؟

يعتقد بعض المسلمين أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قد أغمض عينيه عن هذه الدنيا دون أن ينصب خليفة بعده، ويعتقدون أن هذه المهمة تقع على عاتق (المسلمين أنفسهم) فهم الذين عليهم أن يختاروا قائدهم بطريق (إجماع المسلمين) باعتباره أحد الأدلة الشرعية.

ويضيفون إلى ذلك قولهم إن ذلك قد حصل فعلاً واختير الخليفة الأول بإجماع الأمة. ثم اختار الخليفة الأول الخليفة الثاني.

وعيّن الخليفة الثاني شورى مؤلفة من ستة أشخاص يختارون أحدهم، وكانت هذه الشورى تتألف من علي عليه السلام، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

كان الخليفة الثاني قد اشترط أنه إذا انقسمت الشورى كل ثلاثة في طرف، فإن الطرف الذي فيهم عبد الرحمن بن عوف (صهر عثمان) هو الذي يختار الخليفة، وهذا ما حصل، إذ الأكثرية المؤلفة من سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة اختاروا عثمان.

وفي أواخر عهد عثمان نهض الناس لأسباب مختلفة ضده، وكان إن قتل قبل أن يستطيع تعيين أحد أو شورى.

وعلى أثر ذلك أقبل الناس برمتهم متجهين إلى الإمام علي عليه السلام، وبايعوه خليفة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، باستثناء معاوية الذي كان عامل عثمان على الشام، لأنه كان واثقاً أن علياً لن يبقيه في منصبه.

فرفع راية المعارضة، فكان مصدر حوادث مشؤومة ودموية في التاريخ أدت إلى إراقة دماء الكثيرين من الأبرياء.

هنا تبرز أسئلة كثيرة لابد منها لإلقاء الضوء على البحوث العلمية والتاريخية، سنورد بعضاً منها:

١ ـ هل للأمة أن تختار خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم؟

ليس من الصعب الجواب على هذا السؤال، فنحن إذا اعتبرنا الإمامة بمعنى الحكم الظاهرية على مجتمع المسلمين، فإن اختيار الحاكم بالرجوع إلى آراء الناس أمر متداول.

ولكن إذا كانت الإمامة بالمعنى الذي شرحناه من قبل والذي استقيناه من القرآن الكريم، فلا شك في أنه ليس لأحد الحق في تعيين خليفة النبي سوى اللّه تبارك وتعالى ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم (وبأمر من اللّه تعالى).

إذ أن شرط الإمامة بحسب هذا التفسير هو العلم الوافر بجميع أصول الدين وفروعه، ذلك العلم الذي ينبع من مصدر سماوي ويستند إلى علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، لكي يستطيع الحفاظ على الشريعة الإسلامية،

الشرط الآخر هو معصومية الإمام، أي أن يكون مصوناً صيانة إلهية ضد كل خطأ وإثم لكي يستطيع أن يتحمل مسؤولية مقام الإمامة وقيادة الأمة قيادة معنوية ومادية وظاهرية وباطنية، كما يجب أن يكون متمتعاً بالزهد والتحرر والتقوى والجرأة، مما هو لازم لمن يتصدى للاضطلاع بمهمات هذا المنصب الجليل.

إن تمييز هذه الصفات في شخص ما ليست مستطاعة إلا بوساطة اللّه ورسوله، فهو الذي يعلم في من وضع صفة العصمة، وهو الذي يعلم في من يتوفر حد النصاب من العلم والزهد والتحرر والشجاعة والجرأة اللازمة لمقام الإمامة.

إن الذين عهدوا باختيار الإمام والخليفة إلى الناس قد غيروا في الحقيقة المفهوم القرآني للإمامة، وقصروا هذا المفهوم على الحكم العادي وإدارة شؤون الناس الدنيوية، وإلاّ فإن شروط الإمامة بمعناها الجامع الكامل لا تعرف إلاّ عن طريق اللّه تعالى، لأنه هو العالم بهذه الصفات.

إن القضية أشبه بانتخاب النبي، فالنبي لا يمكن أن ينتخبه الناس بالتصويت، بل اللّه هو الذي يختاره، ويتعرف عليه الناس عن طريق معجزاته، لأن الصفات اللازم توفرها في النبي لا يعرفها إلا اللّه.

٢ ـ ألم يعين النبي أحداً ليخلفه؟

إن الدين الإسلامي، ولا شك، دين

(عالمي) و(خالد) ولا يقتصر على زمان ولا مكان معينين، كما يصرح القرآن بذلك.

ولا شك أيضاً في أن الدين الإسلامي لم يكن قد تجاوز شبه الجزيرة العربية عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جهة أخرى نجد أن النبي أمضى ثلاث عشرة سنة من عمره الشريف في مكة يحارب الشرك وعبادة الأصنام، والسنوات العشر التالية التي بدأت بالهجرة واستغرقت فترة تفتح الإسلام، أمضاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغزوات والحروب التي فرضها على المسلمين أعداؤهم.

وعلى الرغم من أن الرسول الأكرم لم يترك لحظة من عمره الشريف دون أن يستغلها لنشر الدعوة والتعاليم الإسلامية والسعي لتعريف الإسلام الفتي بجميع أبعاده.

ولكن الذي لا شك فيه أن تحليل كثير من المسائل الإسلامية كان يتطلب زماناً أطول، فكان لابد لشخص مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يضطلع بهذه المهمة بعده.

وفضلاً عن ذلك، فإن التنبؤ بمستقبل الأمة، وإعداد المقدمات للاستمرار في إدامة مدرسة الإسلام، كان من أهم الأمور التي لابد أن يفكر فيها كل قائد، ولا يمكن أبداً أن يسمح لهذه المسألة الأساس أن يلفها النسيان.

وإذا تجاوزنا عن كل ذلك، نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحياناً يصدر تعليمات خاصة في كثير من الأمور البسيطة العادية في الحياة اليومية، فكيف يمكن أن يهمل قضية مهمة كقضية الخلافة والزعامة والإمامة ولا يضع لها منهاجاً خاصاً؟

كل هذه النظرات الثلاث دليل واضح على أن النبي الأكرم لا يمكن أن يهمل تعيين الخليفة من بعده، ولسوف نذكر إن شاء الله روايات إسلامية مؤكدة تلقي مزيداً من الضوء على هذا الموضوع وتثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يغفل طوال حياته عن هذه المسألة المصيرية، على الرغم من المساعي السياسية التي جرت بعد الرسول كي تدخل في أذهان الناس إن رسول الله لم يعين خليفة بعده.

أيصدق أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك المدينة لبضعة أيام (مثل ذهابه إلى غزوة تبوك) إلاّ بعد أن عين من يقوم مقامه فيها، ولكنه لا يعين أحداً ليخلفه بعد مغادرة الدنيا نهائياً، بل يترك الأمة نهب الاختلافات والاضطرابات والحيرة، دون أن يضمن للإسلام إستمراريته على يد هاد ومرشد يعتمده؟

لا يشك أحد أن عدم تعيين خليفة ينطوي على أخطار كبيرة على الإسلام اليافع، إن العقل والمنطق يحكمان بأن أمراً كهذا يستحيل صدوره من نبي الإسلام.

إن الذين يقولون أنه عهد بذلك إلى الأمة عليهم أن يبينوا أدلتهم ويثبتوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح بذلك علانية، ولكن ليس ثمة دليل من هذا القبيل.

٣ ـ الاجتماع والشورى

لنفرض أن رسول الإسلام أغمض عينيه عن هذا الأمر الحيوي، وأن المسلمين هم المطلوب منهم أن يختاروا خليفة رسول الله عن طريق الاجماع، ولكننا نعلم أن (الاجماع) يعني اتفاق المسلمين، ولكننا نعلم أيضاً أن إجماعاً كهذا لم يحصل عند انتخاب الخليفة الأول، إلاّ اللهم ما حصل عند اجتماع عدد من الصحابة الذين كانوا في المدينة، حيث قرروا قرارهم، مع أن سائر المسلمين في سائر بلاد الإسلام لم يشاركوا مطلقاً في هذا الاجتماع ولا في الإدلاء بآرائهم، بل إن في المدينة نفسها كان كثيرون، كالإمام علي عليه السلام وبني هاشم، لم يحضروا ذلك الاجتماع، وعليه: فإن إجماعاً كهذا لا يمكن قبوله.

ثم إذا كان هذا الأسلوب هو الصحيح الذي يجب إتباعه، فلماذا لم يتبعه الخليفة الأول في انتخاب خليفته؟ لماذا عين بنفسه خليفته؟ فإذا كان يجوز للفرد أن يعين خليفة، فقد كان النبي أولى إذن بذلك من أي فرد آخر، وإذا كانت البيعة العامة التي تلي الانتخاب تحل المشكلة، فإن ذلك وارد أيضاً بالنسبة للنبي، وعلى وجه أفضل.

ثم فضلاً عن ذلك تبرز المشكلة الثالثة بالنسبة للخليفة الثالث، وهي لماذا خالف الخليفة الثاني الأسلوب الذي أتبعه الخليفة الأول في انتخاب الخليفة الثاني نفسه، وكسر السنّة التي أتت به إلى الخلافة، أي أنه لم يلتزم الإجماع ولا التعيين الفردي، بل جاء بمجلس الشورى ليقوم بذلك؟

إذا كانت (الشورى) صحيحة، فلماذا تقصر على أشخاص ستة بعينهم، وأن يكتفي برأي ثلاثة من ستة؟

٤ ـ الإمام علي عليه السلام أليق الجميع

لنفرض أن نبي الإسلام لم يعين أحداً يخلفه من بعده ولنفرض أن اختيار الخليفة كان على عاتق الأمة، فهل يجوز عند الانتخاب أن نتجاوز الأعلم والأتقى والأكثر تميزاً عن الآخرين من جميع الوجوه، لنبحث عن الخليفة بين من هم يأتون بعده في المرتبة؟

لقد صرح كثير من علماء المسلمين، بما فيهم علماء أهل السنة، بأن علياً كان أعلم الناس بالدين الإسلامي، كما أن آثاره الباقية منه تؤكد هذا القول، يقول التاريخ: أنه كان ملجأ الأمة في كل مشكلة علمية، وإن الخلفاء كانوا يرجعون إليه إذا ما واجهتهم معضلة دينية معقدة.

وكان في الشجاعة والجرأة والتقوى والزهد والصفات البارزة الأخرى أسمى منزلة من غيره، وعليه: إذا فرضنا أن انتخاب الخليفة كان موكولاً إلى الناس أنفسهم، فإن علياً كان أليق الموجودين وأجدرهم بالخلافة.[1]

---

(١) سلسلة أصول الدين لناصر مكارم الشيرازي: ص٣٥ ـ ٤١.

الشيخ عبد الحسين الطهراني شيخ العراقين

الحديث عن سيرة العلماء الأجلاء حديث طويل وشيق ومليء بالعِبَر والموعظة الحسنة، كيف لا وهم ورثة الأنبياء كما جاء في الحديث الشريف، والمدن المقدسة هي خير مقصد لهؤلاء العلماء الأفاضل وبالأخص مدينة سيد الشهداء (كربلاء المقدسة).

نادرة الدهر العلامة الأستاذ والنحرير الجليل الإمام المحقق الشيخ عبد الحسين الطهراني شيخ العراقين.

هو عبد الحسين بن علي الرازي الطهراني، ثم الحائري هجرةً وخاتمة نور الله تربته وأعلى رتبته، أول من تلقّب في عصره بـ(شيخ العراقين).

ولد الشيخ عبد الحسين في طهران بحدود سنة ١٢٢٦ للهجرة (١٨٠٩م)، وقرأ علوم المبادئ والسطوح، والأصول والفقه على يد علمائها.

وكان من أعاظم علماء الشيعة في عهده، فقيهاً أصولياً، متكلماً، حكيماً، دقيق النظر، وسيع الفكر، عالي الفهم، مستقيم السليقة، صائب الحدس، فطناً، كيّساً، جليلاً، عميم الرياسة، نافذ الأمر، وجيهاً، مطاعاً، ضابطاً، متورعاً، ثقة.

قال المحدث النوري في خاتمة مستدركه ما هذا نصه:

(كان نادرة الدهر وأعجوبة الزمان في الدقة والتحقيق وجودة الذهن والفهم وسرعة الانتقال وحسن الضبط والاتقان وكثرة الحفظ في الفقه والحديث والرجال واللغة، حامي الدين ودافع شبهات الملحدين وقد جاهد في الله في محور صولة المبتدعين وأقام الشعائر في العتبات العاليات وبالغ مجهوده في عمارات العتبات الساميات، صاحبته زماناً طويلاً إلى أن نعق بيني وبينه الغراب واتخذ المضجع تحت التراب في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك من سنة ١٢٨٦.

وله كتاب في طبقات الرواة في جدول لطيف، غير أنّه ناقص).

وذكره صاحب الروضة البهية أيضاً في جملة مَن أجازه وأثنى عليه جميلاً كثيراً وقال ما هذا نصه:

(وهو من أجلة العلماء الأعلام والمجتهدين العظام ومرجع الخاص والعام).

قرأ العلامة المترجم على الفقيه الأعظم أفقه زمانه الإمام الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ومَن عاصره من صناديد عهده، ثمّ رجع إلى طهران عاصمة إيران وحصل له فيها رفيع المقام وعظيم الموقع.

كان رحمه الله شاخصاً في الدولة والرعية، كان أعلى مقاماً وأرفع منزلةً وأعظم قدراً في علماء عصره في دولة ناصر الدين شاه، إلاّ العلامة الحاج ملا علي الكني، ثمّ انتخبه جلالة السلطان بتمايل من المترجم لمباشرة تعمير مشهد الحسين بن علي أبي عبد الله ومشهد العسكريين عليهم السلام فهاجر إلى الحائر الشريف ثانياً سنة ١٢٧٤ واعتكف فيها إلى آخر عمره وكان فيها مرجع العلماء والفضلاء في البحث والتدريس وكان يحضر مجلسه الشريف المبارك الأكابر والخواص.

وكان العلامة الأستاذ ونادرة الدهر الشيخ محمد هادي الطهراني النجفي كان لا يتخاضع لأحدٍ من أساتذة عهده وصناديد وقته، سوى المترجم رحمه الله فكان يتخاضع لمقامه في العلم ويفتخر باستناده إليه.

هاجر الى النجف الأشرف، ليدرس عند اساتذتها أيضاً ومنهم الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) المتوفى سنة ١٨٤٩م والذي منحه إجازة الاجتهاد.

وقال في حقه (... يعلم الله، لم أشهد باجتهاد احد في كل عمري غير اربعة...).

يروى المترجم عن أستاذه العلامة الفقيه الأكبر صاحب الجواهر رحمه الله سماعاً وإجازة وعن العلاّمة السيد شفيع الجابلاقي العراقي صاحب الروضة البهية والمولى الأجل محمد رفيع الجيلاني والفقيه الوجيه المولى حسين علي الملايري قدس الله أسرارهم وروى عنه جماعة من الأعلام.

كان المترجم عجيب الاعتقاد في حقّ أستاذه الفقيه الأكبر، كثير الاعتماد عليه وكان يحكى المترجم عن بعض الأجلة، أنّه قال:

(لو أراد مؤرّخ عصر صاحب الجواهر أن يثبت الحوادث العجيبة والوقايع الغريبة في زمانه، لما كان يجد حادثة أعجب وأغرب من تأليف كتاب جواهر الكرام).

وحكى عنه مولانا المحدث النوري في مستدركه قال:

(سألت شيخي صاحب الجواهر بأنّك لِمَ أعرضت عن شرح كتاب كشف الغطاء وَفيه من المطالب الغامضة والمسائل المعضلة والعبارات المشكلة ما لا تحصى، مع أنّه أستاذك وكان ينبغي أداء حقه، فقال: يا ولدي إنّي لا أقدر على شرحه وإتمام أوأواته بالدليل).

وقصده جملة من الفضلاء ليستفيدوا من علمه، وكان ممن قصده الشيخ حسين قلي الهمداني، كما نال تزكية من العلماء أمثال الشيخ محمد تقي الشفتي، فكان ذلك أحد أسباب حسن الظن به من قبل رئيس حكومة الشاه (أمير نظام) الذي أكرمه وهيأ له بيتاً مؤثثاً في طهران بعد ان كان بحالة من الفقر والعناء، ثم خرج مع عياله وسكن في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٢٨٠ للهجرة، (١٨٦٣م).

وحكى لي بعض الثقات الأجلة أنّه قال في جوابه:

(أن شرح كشف الغطاء إنّما يستدعى أدلة، مضافاً إلى الأدلة الأربعة وليس عندي ذلك).

ويعني بذلك عمق نظره وطول باعه في التفريع ورد القروع على أصولها.

فبعد ان سكن الشيخ مدينة النجف المقدسة وتزوج إمرأة نجفية ولكن حالته كانت عسيرة حتى أثقل بالديون؛ فأشار عليه أحد اصحابه بالهجرة الى إيران لعل الله يفرج عنه، وفي بداية هجرته كان يتردد على عطار تعرف عليه وكان العطار يعطي الشيخ نصف قران مقابل تعليمه الأحكام الفقهية، ولكن في يوم من الأيام اقتُرح عليه ان يذهب الى الشيخ محمد تقي القزويني وكان من علماء عصره ولما دخل شيخ العراقَين دار الشيخ القزويني، رأى البيت غاصاً بأهله من العلماء وغيرهم؛ فجلس مع الناس امام الشيخ وسط المجلس، وتقدم الى الشيخ القزويني رجلان وقالا: (إن أمير النظام ارسلنا إليكم لاستلام جواب استفتائه) فتناول الشيخ القزويني الجواب الذي كان بين يديه وناوله لشيخ العراقَين، وقال اعطه لهما، وحين قرأ شيخ العراقَين الجواب، رأى الجواب غير مرتبط بالاستفتاء، فاستأذن

أن يقرأ السؤال والجواب للحاضرين، ولما وافق الشيخ القزويني، قرأ الاستفتاء وفهم الحاضرون عدم صحة الجواب، وأجاب هو بما هو الحق الصحيح، فغضب اصحاب الشيخ محمد تقي من جرأته على الشيخ وأهانوه وأمروا بإخراجه من الدار!

وعاد شيخ العراقين الى بيته، كما عاد الرجلان الى أمير نظام وذكرا له الأمر فسألهما الأمير: هل عرفتماه؟ وهل علمتم إلى اين ذهب؟ قالا: لم يسمح لنا حاشية الشيخ القزويني أن نكلمه حتى نعرفه.

قال الامير: يجب البحث عنه حتى نعرفه وبعد البحث وجدوه في بيته، وارسل اليه الامير خادمه ليعلمه ان (أمير نظام) سيزوره غداً في الصباح، فقال شيخ العِراقين للخادم: انا لا اعرف الأمير حتى يزورني، فأجابه: ألم تكن اليوم في بيت الشيخ محمد تقي وجرى هناك ماجرى؟ قال: نعم فأجابه الخادم: حين اطلع الأمير على مقامك العلمي قرر زيارتك، فتوجه أمير النظام الى دار الشيخ وطلب منهم الشيخ الانتظار لحين ان يأمر زوجته الدخول من صحن البيت الى غرفته وبعد ان علم الأمير بصغر حجم البيت أفصح عند الباب بأنه أهداه داراً يتناسب مع مكانته العلمية والاجتماعية في محلة (عبّاد آباد) في طهران ثم سأله قائلاً: ومن يعرفكم من علماء ايران؟ اجابه الشيخ: من جملة من يعرفونني هو حجة الإسلام السيد محمد تقي الشفتي بأصفهان لأن نجليه كل من السيد اسد الله والسيد محمد علي قد درسا عند الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) والذي هو استاذي في النجف الأشرف، وهنا قدّم الأمير للشيخ مائة ليرة لتسديد ديونه، وكتب أمير نظام الى السيد الشفتي يسأله عن مكانة شيخ العراقين العلمية، فورد الجواب: (إن الشيخ عبد الحسين الطهراني الملقب بشيخ العراقين، عالم زاهد، مجتهد، ينبغي الاستفادة منه ومعرفة قدره)، وبعد هذه الإشارة عُرف من قبل الشخصيات والعلماء والطلاب والتف حوله جمع من الفضلاء للاستفادة من علومه.

وبعد أن جاء ناصر الدين شاه الى الحكم سنة (١٢٦٤) للهجرة (١٨٤٧م) كان وزيره محمد تقي الملقب (بأمير كبير) وقد كان هذا الوزير من مؤيدي شيخ العراقين بحيث أوصى ان يُعطى له ثلث من ماله بعد موته، ولما قتل (أمير كبير) سنة ١٢٦٨ للهجرة (١٨٥١م) امتدت الأيدي الخبيثة الى أمواله، فأُخبر شيخ العراقين بذلك فأجتمع بناصر الدين شاه وأخبره بالأمر، بالرغم من انه كان يعارضه في كثير من القضايا التي لا توافق احكام الشرع، وكان الشاه يحذر صولة الشيخ ويفكر في الوقت نفسه بطريقة يتخلص بها من الشيخ من دون أن يؤذيه أو يهينه، وقال للملك: ان الوزير امير كبير اوصى بصرف ثلث ماله في الأمور الخيرية بمباشرتي واني اقترح بناء مسجد ومدرسة ومرقد السيد (زيد) احد احفاد الأئمة عليهم السلام في طهران، وصرف الباقي في العتبات المقدسة وتذهيب قبة سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء وقبة العسكريين في سامراء؛ فقال الشاه مخاطباً الشيخ: ان دولة قاجار لها حظ وافر في تعظيم شعائر الدين والمذهب ولا سيما في العراق، ووافق على مقترح الشيخ.

وللمترجم آثار جليلة، منها:

(١) عمران الصحن الشريف الحسيني سلام الله عليه الموجود فعلاً.

(٢) تعمير بقعة سيدنا الأعظم أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين سلام الله عليهم وكان فراغه من تعميرها سنة ١٢٧٧ سبع وسبعين ومئتين وألف.

(٣) تذهيب بقعة العسكريين وتعميرها وكان ذلك في سنة ١٢٨٣ وقد حمل سبعة وعشرين ألفاً وسبعمئة وثمان وأربعين طابوق ذهب ومئة وستين كتيبة وثلاثمئة وعشرين حاشية ومفرق القبة المباركة من طهران من طرف صاحب العظمة السلطان ناصر الدين بصحابة خادم الحضور الخاص السلطاني علي رضا خان عضد الملك إلى العتبة المقدسة العسكرية.

(٤) الجامع الكبير في دار الخلافة المعروف باسمه الشريف وهو من أعظم مساجدها بناءً ومدرسةً كبيرةً بناها في جنبه، يعرف باسم بانيه أيضاً ولكن يا لأسف أنّها خالية اليوم من الطلبة، كساير المدارس الدينية بل في شرف الخراب والانهدام، صارت هي فعلاً محل سكنى الغرباء المساكين والفقراء.

بناهما قريباً من داره في محل كان هو أحسن ما يكون في زمانه وقد أوصى الأمير ميرزا تقي خان أمير نظام الوزير الأعظم إلى المترجم في ثلث ماله وكان بناء المسجد والمدرسة المذكورين من ثل تركته.

كان بناء الجامع المذكور في جنب دار صاحب الجلالة علي قلي ميرزا اعتضاد السلطنة وزير علوم الوقت - عمّ جلالة الملك الأعظم ناصر الدين - واتفق أنّ تعديل بناء المسجد، كان يحتاج لإدخال شيء يسير من دار اعتضاد السلطنة إليه ليعدل بنائه، فكتب المترجم إليه في إدخال المقدار المحتاج إليه من داره إلى المسجد، لتعديل عمرانه، يحثّه إليه طلباً للأجر والمثوبة، فكتب إليه المترجم في جوابه بإجابة مسؤوله.

ويقال إنّ من الاتفاق كان المقدار المحتاج إليه من الدار، بيتاً للوزير اتخذه لادّخار بعض المشروبات فيه، ولكن أظن ذلك من النكت بعد الوقوع كما لا يزال هو العادة السارية في القضايا والأمور غالباً، لأنّ من المستبعد الغريب في ذاك الشطر من الزمان أن يعترف مثل الوزير - وهو ممّن يبالي بوجاهته العمومي وجميل الذكر في الناس - عند مثل المترجم بعمله القبيح في نظر العامة صريحاً بلا داع يقتضي ذلك، بل رأى التمثل بالبيت مناسبًا للمقام فاستظرف بتمثله بأدبه.

والمترجم أول من تلقّب ب(شيخ العراقين) في المتأخرين.

وكان للمترجم مكتبة نفيسة في كربلاء المشرفة كان فيها نسخ نفيسة وكتب عزيزة وقّفها رحمه الله فيها على طلبة العلومالدينية ولم يعقب المترجم أثراً علمياً وهو مورد الأسف من مثله حقّاً.

كان له من الأولاد الذكور خمسة هم (الشيخ علي، والشيخ مهدي، والشيخ أحمد، والشيخ شريف، والشيخ عيسى).

وعن مؤلفاته ومصنفاته يقول السيد الأمين: وله كتاب في طبقات الرواة في جدول لطيف غير أنه ناقص، وله رسالة علمية مطبوعة، وترجمة نجاة العباد وحواش وتعليقات ورسائل وكتب في الرجال.

توفي الشيخ عبد الحسين في مدينة الكاظمية في (٢٢) من شهر رمضان المصادف (١٢٨٦) للهجرة (١٨٦٩م) ونقل الى كربلاء ودفن فيها في حجرة بجانب الباب الجديد المسمى بالباب السلطاني على يسار الداخل إلى الصحن الشريف وقد تجاوز عمره الستين عاماً.

وقد أرّخ وفاته تلميذه الميرزا (محمد الهمداني الكاظمي) المعروف بإمام الحرمين بقوله:

منذ (عبد الحسين) مولى البرايا
فاض من ربه عليه النور
طار شوقاً الى الجنان شريفاً
ودعاه إليه أرخ (غفور)

وهكذا كانت حياة شيخ العِراقين مكللة بالعلم والفقه والأدب فضلاً عن احتوائه لجملة من الفنون، رزقه الله فسيح جناته(٢)

---

(١) مرآة الشرق للشيخ محمد أمين الخوئي: ج١، ص٦٧٢، برقم ٢٨٨.

(٢) موقع صحيفة الهدى الإسلامية.

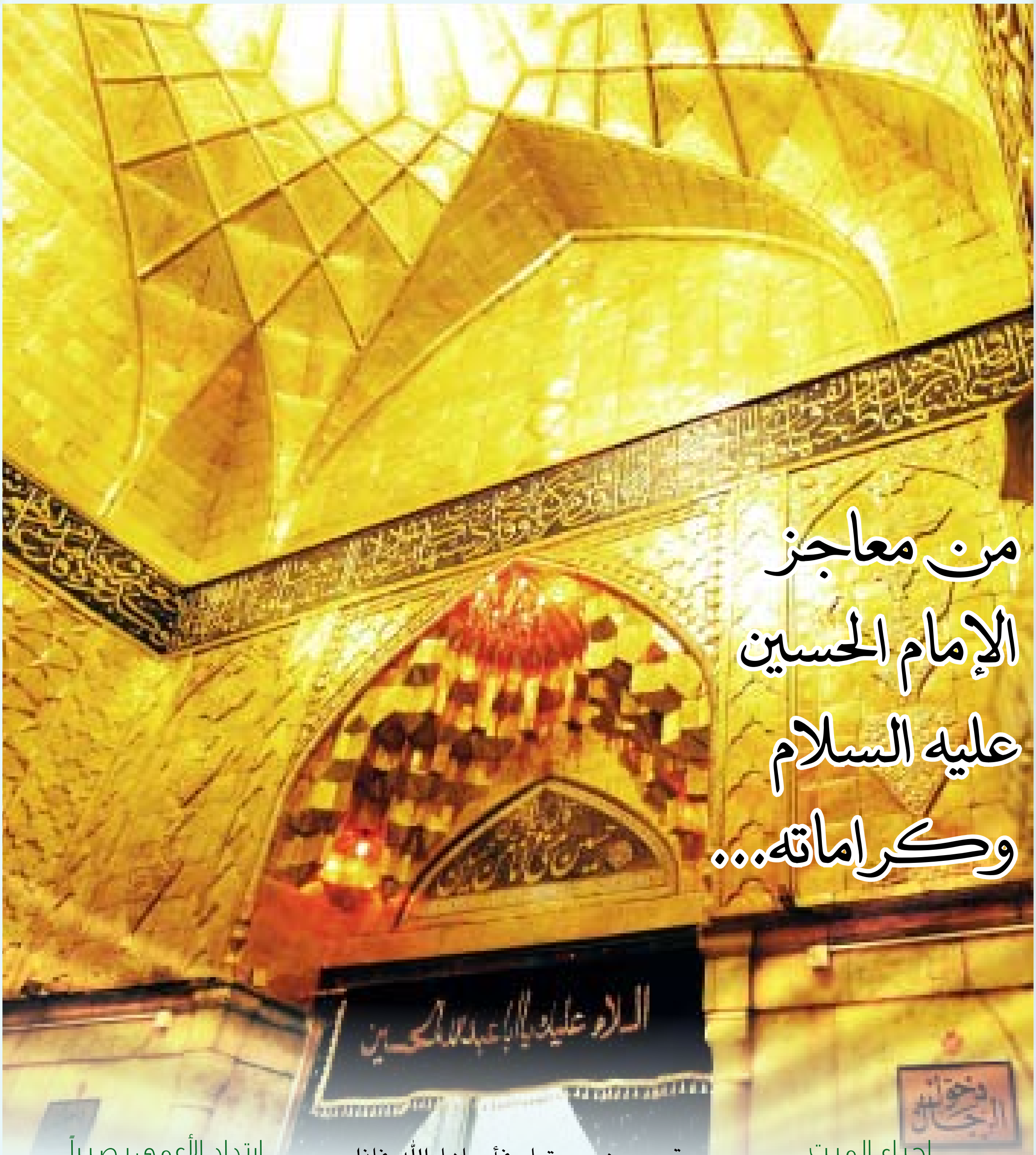

من معاجز الإمام الحسين عليه السلام وكراماته...

إحياء الميت

الراوندي وغيره: عن أبي خالد الكالبي عن يحيى ابن أم الطويل قال: كنا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي فقال له الحسين عليه السلام:

(ما يبكيك؟).

قال: إن والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها، فقال الحسين عليه السلام:

(قوموا بنا حتى نصير إلى هذه الحرة).

فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة وهي مسجاة فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتى توصي بما تحب من وصيتها، فأحياها الله فإذا المرأة قد جلست وهي تتشهّد.

ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام، فقالت: أدخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك فدخل، وجلس على مخدّةٍ، ثم قال لها:

(أوصي رحمكِ الله).

فقالت: يا ابن رسول الله إنَّ لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا وقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من مواليك وأوليائك والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً، فخذه إليك فلا حق للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثم سألته أن يصلي عليها وأن يتولى أمرها، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت[1]

ارتداد الأعمى بصيراً

روى نجاد مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرمي نصالاً ورأيت الملائكة يردّون عليه أسهمه، فعميت، فذهبت إلى مولاي الحسين عليه السلام فذكرت ذلك إليه فقال: لعلّك رأيت الملائكة ترد على أمير المؤمنين عليه السلام سهمه؟ فقلت: أجل، فمسح بيده على عيني فرجعت بصيراً بقوة الله تعالى[2].

---

(١) معاجز الإمام الحسين عليه السلام للسيد هاشمي البحراني: ص٥٨، برقم ٦٤.

(٢) الثاقب في المناقب: ص٣٤٤، ح١.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة العاشرة

(.... ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الحَيَاةِ أَجَلاً مُوَقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً،.....).

قيل: (ثم) حرف عطف يفيد الترتيب جاء لبيان معرفة تقديم الرزق وتأثيره بموعد الأجل وحلول ساعة الوفاة.

و(موقوتا) أي محدود بأوقات معينة، يقال: وقته: فهو موقوت: إذا بين للفعل وقتا يفعل فيه، ونصب الشيء ينصبه نصبا: وضعه، والأمد: الغاية والمنتهى، وأمدك: منتهى عمرك حيث كتب الله لكل نفس أياما معدودة في الحياة الدنيا.[١]

قيل: (ثمّ ضرب له) أي لكلّ ذي روح. (في الحياة أجلا موقوتا، ونصب له أمدا محدودا، يتخطي إليه بأيام عمره) شبه العمر بالمشي، والأيام بالخُطى إلى الموت، وفي نهج البلاغة: (من كانت مطيته الليل، والنهار، فإنه يسار به، وإن كان واقفا، ويقطع المسافة، وإن كان مقيما وادعا) أي ساكنا مستريحا.

إذن: لا تفسير إطلاقاً لما في باطن الإنسان من غرائز، وعناصر، وملكات وفي ظاهره من صفات، وعلامات إلا بقوة تقول للشيء كُن فيكون؛ لأنّ الفكرة المضادة لهذه القوة جنون، وحماقات كما قال فولتير.[٢]

وقيل: جعل بعض الأعلام (ثم) هنا للتراخي في الرتبة لا غير، لأن ضرب الأجل مقدم على سلوك طريق الإرادة وما بعده، وهو كما ترى، فإن ثم هنا للعطف على قوله وجعل، وهو متراخ عنه في الزمان لما روي أنه إذا استتم خلق الإنسان في بطن أمه كتب على جبهته سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وسائر ما يصير إليه حاله، وعلى هذا لو عطف على قوله ثم سلك لكانت ثم أيضاً للتراخي في الزمان كما لا يخفى، والأجل أتى تارة بمعنى المدة، وأخرى بمعنى نهايتها، ويؤيد إرادة الأول هنا قوله في الحياة، لأن نهاية الأجل إنما يكون عند الموت، وإن أمكن أن يقال إن الظرف في محل الحال، أي ضرب له أجلاً عند موته، حال كونه متلبساً في الحياة، وترجيح التأسيس على التأكيد ولفظ ضرب والنصب، فإن الضرب لغة بمعنى السير، يقال ضرب في الأرض أي سائر، أي أنه سيره في الحياة مدة ذات وقت، فهو يناسب الأجل بمعنى المدة، والغاية لما كانت متعرضة في طريق العمر علامة لانتهاء تلك المسافة كانت كالمنائر الموضوعة على ظهر الطريق يعلم به حدود المسافة ناسبها النصب، وهذه الفقار كالصريحة في نفي الأجل المخروم وعدم صحة القول به، وما قيل من أنه موقوت أيضاً بشرط لا يخفى ما فيه، فتدبر.[٣]

وقيل: (ثم ضرب له): أي: عيّن لكلّ زوج أو لكلّ ذي حياة، (في الحياة أجلاً موقوتا) أي: وقتاً معيناً.

(ونصب) أي: أقام وقدّر، (له أمداً محدوداً) ـ عطف تفسير للفقرة السابقة ـ (يتخطّأ إليه) أي: إلى ذلك الأجل، (بأيام عمره) أي: كأنّ كلّ يوم خطوة تقرّب الشّخص إلى أجله، والعمر بضمّ الميم وسكونها، هكذا شأن هذا اللّفظ إذا وقع في هذا الكتاب وكتاب الله الحميد المجيد[٤]

وقيل: (ثم) حرف عطف يقتضي الترتيب والتراخي، وفيه دلالة على أنّ تقدير الرزق مقدّم على تقديم الأجل، ويؤيّده الحديث المشهور: (خلق اللّه الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف عام).

وضرب له: أي قدّر وقرّر، ومنه الضريبة وهو ما يؤدّي العبد إلى سيّده من الخراج المقرّر عليه.

والحياة: قيل هي قوّة الحسّ والحركة، وقيل: هي إعتدال المزاج، وقيل: قوّة تتبع إعتدال المزاج، وقيل: صفة توجب للمتّصف بها أن يعلم ويَقدِر.

وقال الفخر الرازي: الحياة يوصف بها الواجب جلّ شأنه، والإنسان، والحيوان، والنبات، والجهة التي تصحّح وصف كلّ منها بها، هي كونها على الوجه اللايق الذي تترتب عليه الأحكام التي من شأنه.

والأجل: يطلق على معنين: أحدهما: وهو الأكثر، الوقت الذي يضرب لانقضاء الشيء، ومنه أجل الإنسان الذي ينقضي فيه عمره وتنقطع فيه حياته كقوله تعالى:

(فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ).[٥]

الثاني: المدة التي كون الانقضاء في آخرها كما في قولهم: أجل الدين شهران، وعلى هذا يقال: أجل الإنسان لمدة عمره، وإرادة هذا المعنى هنا أولى وأنسب من المعنى الأول، لتكون الفقرة الأخرى تأسيساً، وهو خير من التأكيد.

(موقوتا) أي: محدود الوقت من وقته يقته، من باب وعد: إذا حدّ له وقتاً وهو المقدار من الزمان المفروض لأمر مّا.

ونصب الشيء، ينصبه نصباً، من باب ضرب: وضعه.

والأمد: الغاية، يقال: بلغ أمده، أي: غايته.[٦]

قال الشاعر:

ثم أوحى لكلّ روح براه
قوته وهو رزقه في السماء
ليس فيه نقيصة وازدياد
قط عما أسدى به في العطاء
ضاربا للنفوس فيما قضاه
أجلاً عند خلقها للبقاء
تتخطى له بأيام عمر
خببا عند سيرها للفناء
فإذا كان بالغاً فيه أقصى
أثر من حياته باقتفاء[٧]

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٩.

(٢) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٥١ ـ ٥٣.

(٣) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، للسيد الجزائري: ص٣٠ ـ ٣١.

(٤) رياض العارفين للدارابي: ص٢٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٦) رياض السالكين للحسيني المدني: ص٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٧) الصحيفة السجادية بنظم الشاعر عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٠.

من حقوق الوالدين

الشكر: هو أن يعرف الإنسان أن النعم كلها من الله تعالى وأنه هو المنعم وهو مسبب أسباب النعم والأرزاق وهذا هو شكر بالقلب لواهب النعم.

وشكر بالجوارح الأخرى بالتذلل والخضوع لهذا المنعم العظيم الذي تفضل على المخلوقات كلها، فالشكر هو عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها.

والوالدان إحدى النعم أعطاها الله للإنسان، وكثير من الناس محرومون من هذه النعمة العظيمة، نعمة الأبوين، نعمة الأب والأم.

شكر الوالدين

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.(1)

وقال إمامنا الصادق عليه السلام:

«من لم يشكر الوالدين لم يشكر الله».

وتقدّم في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام عند ذكر أعمال الأم تجاه ولدها:

«... فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه...».

وقال في حقّ الأب:

«... فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه وأحمد الله واشكره على قدر ذلك».

ومعنى شكر الوالدين هو أداء جمعي حقوقهما من طاعة وبرّ واحترام وتقدير ونفقة وحماية من الأخطار، في حياتهما وبعد وفاتهما كما يأتي تفصيله.

ومن الأمور الواجبة لوجوب شكر كلّ منعم، وقد أشار العلامة الطباطبائي في الآية أنها تدلّ على وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيّته وأمره سبحانه، فشكرهما عبادة له تعالى وعبادته شكر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أكرم شابٌ شيخاً لسنّه إلا قيّض الله له عند كبر سنّه مَن يُكرمُه».

ومن الشكر للوالدين حسن معاشرتهما وإدخال السرور على قلبيهما المفعمة بالعطف والحنان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«نظرك إليهما ونظرهما إليك وضحكك إليما وضحكهما إليك أفضل من تحطّم السيوف في سبيل الله».

فأثناء مجالسة الوالدين ينبغي التلطّف معهما وإدخال السرور على قلبيهما، بحسن الحديث والأدب معهما وعدم العبوس في وجهيهما، وعدم قطع كلامهما مهما كان نوع الكلام وفي أيّ زمن كان.

وفي الظروف الصعبة والمحن الشديدة يحتاج الأبّ والأمّ إلى أولادهما ليكونوا إلى جانبهما.

فعلى فتيات العصر وشبابه التواجد عند آبائهم وأمّهاتهم في فترات المرض والمحنة وقبيل الوفاة، فإن الأب والأمّ يحبّان من أولادهم ذلك، ولا يطمئنّ الرجل في هذه الظروف القاسية إلاّ لابنته ولابنه.

وهكذا في هذه الأزمنة ينبغي متابعة الآباء ومراقبتهم ومراقبة مواعيد أدويتهم إذا كانوا مرضى، وملازمتهم في حالة أمراضهم في المستشفيات وفي البيت.

ومن الشكر للوالدين برّهما حيّين وميّتين - كما يأتي - بأن يبقى يشكرهما على ما أنعما عليه من النعم، وأن يفي عنهما ديونهما وأماناتهما وما تعلّق بذمّتهما، وأن يستغفر لهما ويدعو لهما في صلاته وخارجها، يزور ويحجّ عنهما.

أثر سدّ ديون الوالدين

يحكى أنّ أحد الصالحين توفّي والده

فأخذ على عاتقه سدّ ديون والده، فانهمرت عليه الناس فدفع للجميع كلّ ما ادّعوه حتّى افتقر وباع منزله، فسافر في البحار هو وزوجته، وأولاده فتحطّمت السفينة ونزل كلّ واحد منهم في مكان، ثمّ سمع الرجل البار هاتفاً يقول: إنّ الله رزقك كنزاً في موضع كذا وكذا برّاً بوالديك، فأصبح من الأغنياء وجمع حوله الناس في تلك الجزيرة يخدمهم فقصده الناس من كلّ مكان حتّى كان من الذين قصدوه أولاده وزوجته فسبحان مَن جمعهم وفرّقهم ثمّ جمعهم.

إحترام وتقدير الوالدين وحسن معاشرتهما

ينبغي للأولاد استشعار هيبة الوالدين عند مجالستهما ومحادثتهما، لعظيم مكانتهما.

قال إمامنا زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية:

«اللهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف وأبرهما برّ الأم الرؤوف، وأجعل طاعتي لوالدي وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتّى أؤثر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قل، واستقل برّي بهما وإن كثر».

إن من الآداب الدينية العامة احترام الآخرين وتقديرهم وحسن معاشرتهم في كافة الأوقات والأمكنة، ويشتد هذا الأمر مع الأرحام، ويزداد شدة مع الوالدين.

والاحترام تارة يكون بالكلام، فينبغي مخاطبة الوالدين بالألفاظ الحسنة الهادئة، ولا يجوز تغليظ الكلام المشتمل على السباب والفسق أو الكلام البذيء، وكذا الذي فيه إهانة وتحقير للوالدين، ومنه الكلام الذي يكون فيه غلظة وقسوة أو تأفّف، خاصّة عند طلب الوالدين ما يحتاجا إليه، حتى لو كان ذلك الفعل محرّما أو شاقّاً، فلا يجوز توجيه الكلام غير المناسب لهما بل يمتنع عن العمل بتبرير مناسب وكلام حسن.

وأخرى يكون الاحترام متعلّقاً بالمكان فلا يجوز وضع الوالدين في منزل فيه توهين جسدي أو معنوي، وينبغي توفير المكان المناسب لهما وبحالهما، وإكرامهما قدر الإمكان زيادة في الاحترام والتقدير.

ومنه عدم التقدّم عليهما في المجلس والمشي والركوب، فالأنسب تقديم الوالدين ولو عدّ عرفاً خلاف البرّ حُرم، وفي الآية التالية:

«واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة: لا تملأ عينك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدّم قدامهما».

ومن الاحترام التأدّب مع الوالدين على مائدة الطعام بأن يقدّمهما وينتظرهما إن تأخّرا ويجلسهما في أفضل مكان، ويكرمهما في أنواع الطعام والشراب، ومشاركتهما في طعامهما مهما كان، وإيثارهما على نفسه في الطعام وغيره، خاصّة إذا كانت الحاجة ملحّة.

وقد روى عن إمامنا زين العابدين عليه السلام: أنه كان لا يأكل مع أمه لكي لا تسبق يده إلى لقمة نظرت أمّه إليها.

وروى ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام مع أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّها قالت له:

«كلّ وأنت في حلّ».

وعن أبي الحسن عليه السلام أنّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حقّ الولد على والده؟ قال:

«لا يسمّيه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له.

فإذا أراد الولد ـ حتى لو كان كبيرا متزوجا ـ النداء لأبيه فليذكره بالألفاظ التي تقوّي الاحترام بينهما، وخاصّة بلفظه (يا أبي) (يا والدي) أو بكنيته.

وكذا في المشي معه فلا يمشي أمامه بل إمّا إلى جانبه أو خلفه لما فيهما من احترام لهما، ونظيره الجلوس، فلا يجلس أمامه أو أرفع منه أو في مكانٍ أفضل من مكانه عرفاً.

ومن المحرّمات أو توجيه الولد السباب لوالديه وإهانتهما بالكلام المنفّر والمهين.

وقال إبراهيم بن شعيب للصادق عليه السلام: إنّ أبي قد كبر جدّا وضعف فنحن نحمله إذا أراد الحجة، فقال عليه السلام:

«إن إستطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقمه بيدك فإنه جنة لك غدا».

وهذه الخدمة من أهم المسائل التي تكشف عطف الإبن والبنت على الوالدين، فقد يحتاج الوالدان بعد عجزهما إلى من يتولى عنهم بعض الأمور الخاصة، خاصة ما يرتبط بدخول الخلاء والحمّام، وخدمتهما في هذه الأمور من أعظم القربات إلى الله، وتكشف عن حبّ الوالد لوالديه ورعاية حقوقهما كاملة.

وكذا إطعامهما بيده إذا احتاجا إلى ذلك، ولا ننسى أنّ الوالدين قد أطعمانا بأيديهما سنوات وهما يحبّان لنا ذلك، وخدمانا في أمور الخلاء والحمّام عن طيب نفس وخاطر، أفلا نبادلهما ذلك؟! وهل نفعله ونحن نحبّ ذلك كما كانا يحبّانه لنا أم نكره؟!

أثر خدمة الوالدين

يروى أنّ موسى سأل ربّه أن يريه رفيقه في الجنّة، فأمره أن يتوجّه إلى بلد كذا ليراه، فأتاه موسى وإذْ هو شاب فاستضافه في منزله ـ فلمّا وضع الطعام جعل كلّما أكل لقمة جعل في زنبيل لقمتين، فتعجّب موسى فقام ونظر في الزنبيل وإذا فيه عجوزين كبرا، فلمّا نظرا إلى موسى تبسّما وشهدا له بالرسالة وماتا، فقال الشاب: أنت موسى رسول الله والعجوزان أبواي جعلتهما في الزنبيل خوفاً عليهما وكنت لا آكل ولا أشرب حتّى يأكلا، وكانا يسألان الله تعالى كلّ يوم أن لا يقبضهما حتّى ينظرا إلى موسى، فلمّا رأيتهما ماتا علمت أنّك موسى.

فقال له موسى: أبشر فإنّك رفيقي في الجنّة، وقيل إنّ دعاء أمّه كان: اللهم اجعله جليس موسى في الجنّة.

ـ فانظر عزيزي السالك والعبد الطائع إلى أثر حفظ الوالدين في مكان مناسب وخدمتهما وتقديرهما، فإذا أردت أن تجالس رسول البشرية محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فاحترم الوالدين وقدّرهما واحفظهما في أفضل مكان في بيتكَ وأعزّ غرفة في منزلكَ، ولا تأكل قبل أن يأكلا أو تطمئن أنّهما يأكلان.

أثر خدمة الوالدين العاجزين

ويقال أنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان أن أخرج إلى البحر ترى عجباً، فخرج فلم يجد حتّى غاص في البحر فوجد غرفة من ياقوت وجواهر لا يدخل إليها الماء ووجد فيها شابّاً حسناً يعبد الله، فسأله عن أمره فقال: كان أبي مقعداً وأمّي عمياء فخدمتهما سبعين سنة فلمّا حضرت وفاة أمّي قالت: اللهم أطل عمره في طاعتك، ولمّا حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فكانت هذه الغرفة فسأله عن طعامه وشرابه، فقال: طير يأتيني به من رزق الله تعالى الذي لا ينسى من ذكره.

ـ وانظر أيها المطيع لوالديكَ إلى أثر خدمة الوالدين المقعدين، وهذا هو حقيقة البرّ أن يخدم الولد أبويه حتّى لو كانا عاجزين، لا أن يتخلّى عنهما ويتركهما للآخرين من أجل مرضهما أو عجزهما[٢]

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) فقه الأسرة وآدابها للسيد علي عاشور: ص١٦ ـ ٢١.

وصايا سيدي ومولاي الإمام الحجة المنتظر روحي وأرواح العالمين له الفداء

نقل السيد عادل العلوي تلميذ آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي: أن: في أيام دراسة آية الله العظمى المرعشي رحمه الله للعلوم الدينية وفقه أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف، اشتاق كثيراً إلى رؤية جمال مولانا بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وتعاهد مع نفسه أن يذهب ماشياً في كل ليلة أربعاء إلى مسجد السهلة لمدة أربعين مرة، ليفوز بذلك الفوز العظيم.

فيقول السيد رحمه الله: أدمت هذا العمل إلى (٣٦) أو (٣٥) ليلة أربعاء، ومن الصدفة أني تأخّرتُ في هذه الليلة في خروجي من النجف الأشرف، إذ كان الجوّ غائماً ممطراً، وكان بقرب مسجد السهلة خندق، وحين وصولي إليه في الليل المدلهم وأنا في وحشة وخوف من قطّاع الطريق، سمعت صوت قدم من خلفي مما زاد في وحشتي ورعبي، فنظرت إلى الخلف، رأيت سيداً عربياً بزي أهل البادية، اقترب مني وقال بلسان فصيح: يا سيد سلام عليكم، فشعرت بزوال الوحشة من نفسي، واطمأنتْ وسكنتْ النفس، والعجيب كيف التفت إليّ أني سيد في مثل تلك الليلة المظلمة؟ على كل تحدثنا وسرنا، فسألني: أين تقصد؟ قلتُ: مسجد السهلة، فقال: بأي قصد؟ قلت: بقصد التشرف بزيارة ولي العصر عليه السلام.

بعد خطوات وصلنا إلى مسجد زيد بن صوحان، وهو مسجد صغير بالقرب من مسجد السهلة، فقال السيد العربي: حبّذا أن ندخل هذا المسجد ونصلي فيه ونؤدّي تحية المسجد، فدخلنا وصلى وأخذ السيد يقرأ دعاءً، وكأن الجدران والأحجار تقرأ معه فشعرتُ وأحسست بثورة عجيبة في نفس أعجز عن وصفها، ثم بعد الدعاء قال السيد العربي: يا سيد أنت جوعان، حبذا لو تعشيت، فأخرج مائدة من تحت عباءته،وكانت فيها ثلاثة أرغفة من الخبز واثنتان أو ثلاث خيارات خضراء طريّة وكأنها توّاً قُطِعَتْ من البستان وكانت ـ آنذاك ـ أربعينية الشتاء، ذلك البرد القارس، ولم انتقل إلى هذا المعنى أنه من أين أتى بهذا الخيار الطري في هذا الفصل؟! فتعشّينا كما أمر السيد، ثم قال: قم لنذهب إلى مسجد السهلة، فدخلنا المسجد وكان السيد العربي يأتي بالأعمال الواردة في المقامات، وأنا أتابعه.

وبعد الفراغ من الأعمال قال السيد العربي: يا سيد هل تذهب مثل الآخرين بعد الأعمال إلى مسجد الكوفة أو تبقى في مسجد السهلة، قلت: أبيتُ في المسجد، فجلسنا في وسط المسجد في مقام الإمام الصادق عليه السلام.

وقلت له: هل تشتهي الشاي أو القهوة أو السيجار حتى أعدّه لكم؟ فأجاب بكلمة جامعة (هذه الأمور من فضول المعاش، ونحن نتجنّب فضول المعاش) أثّرت هذه الكلمة في أعماق وجودي، كنت متى ما أشرب الشاي وأتذكر ذلك الموقف وتلك الكلمة ترتعد فرائصي.

وعلى كلّ حال، طال المجلس بنا ما يقارب الساعتين، وفي هذه البرهة جرتْ مطالب أشير إلى بعضها:

١ ـ جرى حديث حول الاستخارة فقال السيد العربي: يا سيد كيف عملك للاستخارة بالسبحة فقلت: ثلاث مرات صلوات وثلاث مرات (استخير الله برحمته خيرة في عافية) ثم آخذ قبضة من السبحة، وعدّها، فإن بقي زوج فغير جيدة، وإن بقي فردٌ فجيدة.

فقال السيد: لهذه الاستخارة تتمّة لم تصل إليكم، وهي عندما يبقى الفرد لا يحكم فوراً أنها جيدة بل يتوقف، ويؤخذ مرة أخرى على ترك العمل فإن بقي زوج فيكشف إن الاستخارة الأولى كانت جيدة وإن بقي فرد فيكشف إن الإستخارة الأولى وسط.

قلت في نفسي حسب القواعد العلمية عليّ أن أطالبه بالدليل، فأجاب: وصلنا من مكان رفيع، فوجدت بمجرد هذا القول التسليم والانقياد في نفسي، ومع هذا لم أتوجه إنه من هو هذا السيد؟

٢ ـ ومن مطالب تلك الجلسة تأكيد السيد العربي على تلاوة هذه السور بعد الفرائض الخمس فبعد صلاة الصبح (سورة يس) وبعد الظهر (سورة عمّ) وبعد العصر (سورة نوح) وبعد المغرب (سورة الواقعة) وبعد العشاء (سورة الملك).

٣ ـ ومن المطالب: تأكيده على هذا الدعاء بعد الفرائض الخمس (اللهم سرّحني من الهموم والغموم ووحشة الصدر ووسوسة الشيطان برحمتك يا أرحم الراحيمن).

٤ ـ لقد مجّد شرائع الإسلام للمحقق الحلي وقال: كلها مطابقة للواقع إلاّ عدة مسائل.

٥ ـ التأكيد على تلاوة القرآن وهدية ثوابها للشيعة الذين ليس لهم وارث، أو لهم ولكن لم يذكروا أمواتهم.

٦ ـ التأكيد على زيارة سيد الشهداء عليه السلام.

٧ ـ دعا في حقي فقال: جعلك الله من خَدَمَة الشرع.

٨ ـ قلت له: لا أدري هل عاقبة أمري بخير وهل أنا مبيض الوجه عند صاحب الشرع المقدس فقال: عاقبتك على خير، وسعيك مشكور، وأنت مبيض الوجه.

وهناك مطالب أخرى لا مجال لتفصيلها.

فأردت الخروج من المسجد لحاجة، فأتيت الحوض وهو في وسط الطريق قبل أن أخرج من المسجد تبادر إلى ذهني أي ليلة هذه؟ ومن هذا السيد العربي صاحب الفضائل؟ ربما هو مقصودي فما أن خطر هذا على بالي حتى ورجعت مضطرباً فلم أجد أثراً لذلك السيد ولم يكن شخص في المسجد فعلمت أني وجدت من أتحسّس عنه، ولكن أصابتني الغفلة، فبكيت ناحباً، كالمجنون رحت أطوف أطراف المسجد حتى الصباح كالعاشق الولهان الذي ابتلي بالهجران بعد الوصال وكلما تذكرت تلك الليلة ذهلت عن نفسي.(١)

(١) قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص٢٢١ ـ ٢٢٤، برقم ١٦٩.

داء السكري

الداء السكري أو المرض السكري (Diabetes mellitus) هو متلازمة تتصف باضطراب الاستقلاب وارتفاع شاذ في تركيز سكر الدم الناجم عن عوز الأنسولين، أو انخفاض حساسية الأنسجة للأنسولين، أو كلا الأمرين.

يؤدي السكري إلى مضاعفات خطيرة أو حتى الوفاة المبكرة، إلا أن مريض السكري يمكنه أن يتخذ خطوات معينة للسيطرة على المرض وخفض خطر حدوث المضاعفات. يعاني المصابون بالسكري من مشاكل تحويل الغذاء إلى طاقة، فبعد تناول وجبة الطعام، يتم تفكيكه إلى سكر يدعى الغلوكوز ينقله الدم إلى جميع خلايا الجسم. وتحتاج أغلب خلايا الجسم إلى الأنسولين ليسمح بدخول الغلوكوز من الوسط بين الخلايا إلى داخل الخلايا.

كنتيجة للإصابة بالسكري، لا يتم تحويل الغلوكوز إلى طاقة مما يؤدي إلى توفر كميات زائدة منه في الدم بينما تبقى الخلايا متعطشة للطاقة، ومع مرور السنين، تتطور حالة من فرط سكر الدم، الأمر الذي يسبب أضراراً بالغة للأعصاب والأوعية الدموية، وبالتالي يمكن أن يؤدي ذلك إلى مضاعفات مثل أمراض القلب والسكتة وأمراض الكلى والعمى واعتلال الأعصاب والتهابات اللثة، والقدم السكرية، بل ويمكن أن يصل الأمر إلى بتر الأعضاء.

الأعراض التي توحي بهذا المرض

زيادة في عدد مرات التبول (زيادة كمية البول)، زيادة الإحساس بالعطش وتنتج عنها زيادة تناول السوائل لمحاولة تعويض زيادة التبول، التعب الشديد والعام، فقدان الوزن رغم تناول الطعام بانتظام، شهية أكبر للطعام، تباطؤ شفاء الجروح، وتغيّم الرؤية، ويمكن لهذه الأعراض أن تتطور سريعاً، خلال أسابيع أو شهور، وعندما يرتفع تركيز غلوكوز الدم أعلى من الحد الأقصى لقدرة الكلى، لا تكتمل إعادة امتصاص الغلوكوز ويبقى جزء من الغلوكوز في البول ويزيد الضغط للبول ويمنع إعادة امتصاص الماء بواسطة الكلية مما يؤدي إلى زيادة إنتاج البول وبالتالي فقدان سوائل الجسم. ويحل الماء الموجود في خلايا الجسم محل الماء المفقود من الدم وينتج عن ذلك جفاف وعطش. ويسبب ارتفاع تركيز غلوكوز الدم لفترات طويلة إلى امتصاص الغلوكوز مما يؤدي إلى تغيرات في شكل العدسات في العين وينتج عنه تغيرات في الإبصار، ويشكو مرضى السكري عموماً من الرؤية المشوشة ويمكن تشخيصه عن طريقها.

وتقل حدة هذه الأعراض إذا كان ارتفاع تركيز سكر الدم طفيفاً، أي إنه هناك تناسب طردي بين هذه الأعراض وسكر الدم.

تقسيمات

تقسم منظمة الصحة العالمية السكري إلى ثلاثة أنماط رئيسية وهي: سكري النمط الأول وسكري النمط الثاني وسكري الحوامل. وكل نمط له أسباب وأماكن انتشار في العالم. ولكن تتشابه كل أنماط السكري في أن سببها هو عدم إنتاج كمية كافية من الأنسولين.

توجد العديد من المسببات النادرة لمرض السكري التي لا يمكن تصنيفها كنمط أول أو ثان أو سكري الحوامل، وتثير محاولات تصنيفها الكثير من الجدل. توجد بعض الحالات من السكري بسبب عدم استجابة مستقبلات الأنسولين على أنسجة الجسم، حتى لو كانت مستويات الأنسولين طبيعية، وهذا يجعل هذه الحالة مختلفة عن النمط الثاني، وهذا النمط نادر جداً.

الفحص

يُوصى بعمل فحص السكري للعديد من الأفراد في مراحل حياتهم المختلفة وكذلك لأولئك الذين لديهم احتمال عالٍ للإصابة بالمرض، وتتنوع اختبارات الفحص طبقاً للظروف والسياسة الصحية المحلية، وتتضمن هذه الاختبارات القياس العشوائي لغلوكوز الدم، قياس غلوكوز الدم أثناء الصيام، وقياس غلوكوز الدم بعد ساعتين من تناول ٧٥ غرام غلوكوز أو حتى اختبار قياس تحمل الغلوكوز الرسمي، ويُوصى بعمل فحص طبي شامل للبالغين من العمر ٤٠ أو ٥٠ عاماً وبصورة دورية بعد تخطي هذا العمر، والذين لديهم تاريخ عائلي من الإصابة بالسكري.

الوقاية

ترجح بعض الأبحاث أن الرضاعة الطبيعية تقلل احتمال الإصابة بالمرض ودراسة أخرى تقول أن نمط التغذية وزيادة النشاط البدني للسكري يحافظ على وزن صحي وممارسة الرياضة لمدة ساعتين ونصف أسبوعيا (المشي السريع يؤدي الغرض) وتناول الدهون باعتدال وتناول كمية كافية من الألياف والحبوب الكاملة.

العلاج

إن السكري مرض متعذر البرء حالياً، أي لا يشفى، ويتم التركيز في علاجه على التضبيط أو تفادي المتاعب قصيرة أو طويلة المدى التي يمكن أن يسببها المرض، ويوجد دور استثنائي وهام لمعرفة المريض بالمرض والتغذية الجيدة والنشاط البدني المعتدل ومراقبة المريض لمستوى غلوكوز دمه بهدف الحفاظ على مستويات غلوكوز الدم في المدى القريب وحتى البعيد في النطاق المقبول، ويقلل التضبيط الدقيق من مخاطر المضاعفات بعيدة المدى، ويمكن تحقيق ذلك نظرياً عن طريق التغذية المعتدلة وممارسة الرياضة وخفض الوزن وتناول خافضات السكر الفموية أيضاً أو استخدام الأنسولين، وبالإضافة إلى تضبيط ضغط الدم ونسبة الكوليسترول عن طريق التوقف عن التدخين وتناول الغذاء المناسب وارتداء جوارب السكري وتناول دواء لتقليل الضغط إذا دعت الحاجة لذلك.(١)

---

(١) موسوعة ويكيبيديا

(http://ar.wikipedia.org/wiki/السكري).

صدر حديثاً

عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية كتاب (خديجة بنت خويلد عيلهما السلام أمّة جُمعت في امرأة).

يتناول هذا الكتاب حياة أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام ودراستها وتحقيقها معتمدا على ما يقارب الخمسمائة مصدر إسلامي وذلك بعد مراجعة ما يقارب ثلاثة آلاف مصدر فخرجت الدراسة بأربعة أجزاء وقد تناولت الكثير من المسائل المتعلقة بحياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام ضمن الفترة المكية والتي قضاها النبي مع أم عياله خديجة بنت خويلد والبالغة ربع قرن.

فضلا عن الرد على كثير من المسائل العقائدية ومناقشة كثير من المسائل التاريخية والأسرية وذلك أن بيت خديجة عليها السلام كان هو البيت الأنموذج في الإسلام إذ كانت أم العيال وربة البيت وخير سند لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلال خمسٍ وعشرين سنة. فحظيت بما لم تحظَ به امرأة في الإسلام.